المتنبي بطلاً دراماتياً : دراسة نقدية مسرحية

د/ فوزي إبراهيم الحاج*

Abstract
Almotanbi dramatic hero

This study aimed to show Almotanbi character in five plays, two of these plays were in poetry, the first is "Almotanbi trial" from one act, the second is "Almotanbi on the sword edge".

The others were in prose , the first was " Almotanbi finds ajob ", it was very similar to the former , the second was " Almotanbi and the arabic future " which portrys the contemporary time . The last was "The dream of Almotanbi " which was docuomentry play. Three of these plays were treat the conflict between the authority and the entellectuals, and the attitude of the literate from the power and the temptation of the authority.Two of the five were using the tradition to reflect our life in through masking technique .

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع شخصية المتنبي من خلال خمس مسرحيات ، كانت اثنتان منها شعرية: الأولى "محاكمة المتنبي " وهي مسرحية من فصل واحد، والثانية هي " المتنبي فوق حد السيف " .أما الثلاثة الباقية فهي نثرية :الأولى منها بعنوان "المتنبي يجد وظيفة " وكانت قريبة جداً في فكرتها، من المسرحية السابقة ،والثانية هي "المتنبي والمستقبل العربي"التي انفردت بالحديث عن حياتنا المعاصرة، وكانت الأخيرة بعنوان "حلم المتنبي" وهي مسرحية تسجيلية تاريخية .وقد عالجت ثلاث من هذه المسرحيات الصراع القائم بين المثقفين والسلطة، وموقف المثقف من بطش السلطة وإغراءاتها، واستخدمت المسرحيتان الأخيرتان تقنية القناع أو الإسقاط لمعالجة مشاكل راهنة.

---

* أستاذ مشارك بكلية الآداب – جامعة الأزهر .

مقدمة :

حظي المتنبي باهتمام الأدباء والنقاد المعاصرين والقدماء بشكل لم يحظَ به أديب عربي قديم أو حديث على الإطلاق ، فأُقيمت المهرجانات باسمه ، وتم توظيف حياته في العديد من المسرحيات والأفلام السينمائية والروايات وقصائد القناع الشعرية ...إلخ

ولعل هذا الاهتمام الزائد بالمتنبي يعود للأمور التالية :

1- أن عصر المتنبي _ القرن الرابع _ يشبه إلى حد بعيد العصر الذي نعيشه من حيث ضعف الأمة العربية ، وسيطرة الأجانب على مقدراتها، وانصراف الحكام إلى ملذاتهم الخاصة ، وفي العصر الحديث وصلت الأمة العربية إلى الحضيض عند ضياع فلسطين ووقوع العالم العربي لقمة سائغة للاستعمار الغربي الجديد.

2 ـ وسط هذا الضياع العربي قام المتنبي بالدعوة لدولة عربية موحدة تعيد للعرب سابق عزهم ومجدهم، ووقف سيطرة الأجانب على مقدرات العرب ، وكانت هذه نبوته الحقيقية . لذا وجد الكتاب المعاصرون في المتنبي المعبّر عن آمالهم وطموحاتهم في هذه القوة العربية والكرامة العربية .

3ـ تميزت حياة المتنبي ،وأشعاره، بالخصوبة والثراء بحيث كانت مادة خصبة لكل كاتب ، وقد حق لكثير من النقاد أن يجعلوه شاعر العربية الأول ، فلقد تميزت حياته بالطموح الشخصي المندفع ، وكانت شخصيته قلقة لاتستقيم في مكان حتى تهجره ولاتألف شيئاً حتى تتأباه ، ويكفي غرابة في هذه الحياة قصته مع كافور . كما تميزت أشعاره بالقوة والفحولة والعمق بل والحداثة بالنسبة للعصر الذي قيلت فيه .

وفي تفسير ذلك يقول الفنان المسرحي سعد أردش " لأن المتنبي رجل دولة بالدرجة الأولى ، عرك ميادين الحرب والسياسة ، والاقتصاد والقانون وبرع في تحليل أنظمة الحكم العربي ، في مرحلة تعرضت فيها الأمة العربية لعوامل التمزيق والتهرؤ

التي تنال منها اليوم..والمبدعون العرب المعاصرون ، ومنهم عديد من كتّاب المسرح، عندما يتخذون من المتنبي شخصية من شخوصهم الفنية إنما يتمثلون واقعهم الاجتماعي ، الاقتصادي، السياسي ، ويحلمون بذلك الماضي التليد في أمجاد الأمة العربية ، بالمقارنة مع الحاضر المتردي ، الواهن، اليائس، لينفخوا شيئاً من الروح من عبق التاريخ العظيم في هذا الحاضر ، على أمل أن تحس الأجيال المعاصرة شيئاً من الحرج وشيئاً من الخجل ، فتنهض من جديد إلى شيء من التطلع ، وإلى شيء من الكرامة ."1"

ويقول كاتب آخر في سبب اختياره للمتنبي : " لعل المتنبي خير نموذج لشخصية المثقف في كل العصور ، هذه الشخصية التي تزخر بأحاسيس الكبرياء والقلق والتوتر والتحدي والحزن النبيل ...إنه شخصية ماردة ." 2" ويسجل كاتب ثالث انبهاره بأشعار المتنبي التي صاغها في انتصارات سيف الدولة العظيمة ضد أعداء العرب الذين سوّلت لهم أطماعهم الشريرة الاستيلاء على أرض عربية ، فخرج عليهم بتعبئة كاملة وعزيمة ماضية وأنزل بهم هزائم ماحقة وردّهم على أعقابهم خاسرين.. ووجدتني أردد القول المشهور : ما أشبه الليلة بالبارحة .

وهكذا حفزتني القضيةالفلسطينية والمصير العربي أن أعيد المتنبي إلى الساحة العربية ليروي لنا بأوضح بيان لسان السلف الماجد وعظم المسئولية التاريخية ومتطلبات اجتياز المحنة واستعادة الأرض السليبة ."3"ويضيف ناقد مسرحي " وأول مايخطفنا دراماتياً في هذه الشخصية النزوع الحاد إلى البطولة الفردية، ومحاولة تحقيق الذات وإشباع تطلعاتها الطموحة المبكرة إلى أقصى حد ." 4"

لذا فإن هذه الدراسة تقوم على خمس مسرحيات اتخذت من سيرة المتنبي محوراً لها "5"، معتمدة المنهج التحليلي المقارن ، ومقارن هنا بمعنى equal أو balance وليس بمعنىcomparative .

كما سيتم تتبع هذه المسرحيات من محورين : أولهما المسرحيات الشعرية ، ثم المسرحيات النثرية. والآخر هو دراسة المسرحيات بحسب تواريخ نشرها ، مع العلم أن تاريخ النشر قد يختلف مع تاريخ الكتابة. كما ستتم دراسة كل مسرحية من ناحيتين : المضمون ثم الشكل .

أولاً: المسرح الشعري

1 _ محاكمة المتنبي ..د.أنس داود (د.ت)

أ _ المضمون :

تبدأ هذه المسرحية القصيرة بصورة قاتمة السواد لكافور الإخشيدي وهو يتودد للأميرة ويتغزل في جمالها مما يشعرها بالسعادة ، ولكن عندما يتعرض للمتنبي بالسوء ، تثور ، فهي معجبة به، وترى في شعره نصرة للفقراء والمظلومين ، وترى فيه الأمل ، ولو أن هذا مستبعد لمن هو في موقعها ؛ لأن الحكام والأمراء لاينظرون للأمور بعيون العامة من الفقراء ، وهذه العين فقط هي التي ترى الظلم والقهر والفقر.

وهنا يتوعد كافور بقتل المتنبي ، ويستعرض صور التنكيل والدمار التي يرغب في تطبيقها على المتنبي ، وهي عداوة نمطية بين السلطان وصاحب الكلمة ، ويتهم الأميرة بأن لها علاقة محرمة بهذا الشاعر ، فيكون ردها على كل ذلك ملخصاً لفكرة الكاتب من وراء المسرحية :.

الأميرة : لكنك تنسى ياكافور

إن أنت قتلت الشاعر

أنك أعجز عن قتل "الشعر"

مأساة الطاغية "الشعر"

وليس الشعراء "6"

يظهر المتنبي بعد ثلاث وثلاثين صفحة من المسرحية المكونة من ثمان وخمسين صفحة ، أي أنه لايظهر على المسرح أكثر من نصف المسرحية ، لكن حضوره يسيطر على المسرحية منذ اللحظة الأولى حتى النهاية ، بحيث أن الخضور الجسدي للشخصية لم يزد كثيراً في حضورها المعنوي . يُواجه المتنبي بعداء كافور ، ولكن هذا لن يقتله بسيفه ، وإنما سيقدمه للمحاكمة :

الأميرة :كي يقتلك السلطان ، ويقتلك القاضي / باسم القانون (ص36)

ولكن هذا لايفتّ في عضد المتنبي ولايخيفه ، شأنه في هذا شأن أبطال التراجيديا، وهو يفضح الوضع القائم ، القهر، ملاحقة أصحاب الأقلام والأفكار :

المتنبي : .... ولأدنى همس

تتحرك قافلة من عسس السلطان

ما نبصرها تتحرك حين تدق سنابك

خيل الروم مساجد يذكر فيها اسم الله،

ويُتلى فيها القرآن

في حلب الشهباء وفي القدس (ص37)

والمسرحية كلها تقوم على الإسقاط السياسي الذي يشترط وجود مستويين : مستوى الأحداث التاريخي ، ثم مستوى الواقع الحديث ، فإن خرجت الأحداث عن المستوى التاريخي خرجت عن تقنية الإسقاط إلى المباشرة ، وهذا ما حدث في المسرحية أكثر من مرة ، منها ذكر القدس في الاقتباس السابق على سبيل المثال ، فإن القدس لم تكن قد تعرضت لغزو الروم في بداية القرن الرابع الهجري ، وإنما تعرضت لهذا الخطر بعد هذا التاريخ بكثير مع بداية الحروب الصليبية . ولكن رغبة الكاتب في الحديث عن الخطر المعاصر على القدس جعلته يتناسى الواقع الفني .

وكلما ابتعد الكاتب عن تقنية الإسقاط السياسي وقع في مأزق الخطابية والمباشرة ، وذلك عندما يصرخ المتنبي في وجه كافور :

المتنبي : أسمع _ قادمةً _ صوت الثورة

أبصر _قادمةً _ زحف الثورة (ص52)

وقد زاد من سوء هذه الخطابية ، ذلك الخلل اللغوي التركيبي الذي وضعه بين معترضتين ، ووصف المضاف إليه وهو يقصد المضاف .

تُعقد المحكمة على عجل وتكون تهمة المتنبي التي يوجهها له الوزير التحريض على قتل كافور ، وذلك في شعره الذي يقول :

"إذا رأيتمو الفقر يسعى في دروب هذه المدينة فلتقتلوا كافور ...إلخ "

ويدافع المتنبي عن نفسه سائلاً الوزير والقضاة: هل ينوي كافور نشر الفقر وهل ينوي فتحها للجنود الروم؟؟

وعندما تكون إجابتهم بلا وحاشا يقول : إذن لاتقتلوا كافور .

ولايجد القضاة مايدين المتنبي ، لذا يُخلون سبيله ، فيخرج رافعاً رأسه بعد أن رفض نصيحة الأميرة بالهرب ، لكن كافور يصدر أمره للسياف بقتل المتنبي الذي يكون قد خرج ، بينما تردد الأميرة ذلك الحكم الأبدي: إن أنت قتلت الشاعر

أنك أعجز عن قتل الشعر ..إلخ

والحقيقة أن الشاعر أنس داود عندما كتب هذه المحاكمة السريعة، كان في ذهنه محاكمتان مسرحيتان شكلتا الأساس لهذه المحاكمة: محاكمة الحلاج في مسرحية " مأساة الحلاج"7"، هذه المسرحية التي أثرت في كثير من المسرحيات الشعرية التي كتبت بعدها ، والمحاكمة الثانية كانت " محاكمة رجل مجهول"8 " لعز الدين إسماعيل ، فلقد كانت هاتان المسرحيتان شعريتين ومن الشعر الحر، كما كان البطل في

كلٍّ منهما مثال العدل والحرية في مواجهة الظلم والقهر..إلخ ، وهذا ما تبنته مسرحية داود ، إلى جانب كثير من التأثيرات الجانبية من المسرحيتين .

هاهو المتنبي ،رمز الحق ، يدعو على كافور ،رمز الباطل ، بأنه عند قتله :

المتنبي : لن يأوي طير النوم _ مدى العمر _

إلى مخدع جفنيك

وستبقى طول حياتك

أرقاً أبدياً / ندماً أبدياً (ص37)

ولقد استثمر عزالدين إسماعيل هذا الموقف إلى أقصاه في مسرحيته عندما قام بتوظيف شخصية سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج ، فظل هذا أربعين يوماً وليلة ـ بقية عمره ـ دون نوم، يطارده الندم ، كما أفادت بذلك كتب التراث ."9"

كما تلتقي تهمة المتنبي مع تهمة المتهم ، الذي تمثل في ثلاث شخصيات عند عزالدين إسماعيل هي: أبو ذر الغفاري ، سعيد بن جبير ، والمتهم المعاصر، وكانت تهمتهم الوقوف في وجه الظلم وإنصاف المظلومين، وكذلك كانت تهمة الحلاج :

هذا رجل يلغو في أمر الحكام

ويؤلب أحقاد العامة

نقموا مني أن أتحدث في خلصائي

وأقول لهم إن الوالي قلب الأمة

هل تصلح إلا بصلاحه (الحلاج ص42)

وكما رأى السلطان عدم قتل الحلاج ، وإنما تركه للقضاء والرأي العام كي يُقتل محروماً من الشرف أو الدين ، وذلك كي لايكون بطلاً وإنما مجرد زنديق كافر، وطلب من العامة أن تعلن ذلك، فإن كافور يسلم المتنبي إلى القضاء كي يقتل باسم القانون :

أن تقتله الدولة، أن يقتله

العدل، المحكمة ، الشرع ، وأن يقتله

كل الناس . (ص32)

وإن كانت نهاية الحلاج الإعدام ونهاية المتنبي إخلاء سبيله ، فإن ذلك لموافقة التاريخ ليس إلا ، وربما أراد الكاتب أن يُبقي بصيصاً من الأمل كما فعل عزالدين إسماعيل عند محاكمة المتهم المعاصر في مسرحيته .

والتأثير الآخر لمأساة الحلاج أن محور المسرحية يقوم على تأثير الكلمة وقوتها التي تفوق قوة السيف ، وهذا ما وجدناه في مسرحية داود :

المتنبي : لايعنيني أن يرعوا ودي أو ينسوه

يعنيني أن يرعوا كلماتي (ص46)

أو يقول : قد خبتُ إذن لكن ما خابت كلماتي.....

وإذا كان الحلاج ، أحد كبار المتصوفة ، يتكلم بلغة المتصوفة عن الفيض أكثر من مرة عند عبدالصبور: " مايرضاه الرحمن لمخلوق في صورته، ذي روح متصف بصفاته ". (الحلاج ص47) .....

أو قوله :"أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره

فأبدع من أثير القدرة العليا مثالاً صاغه طينا

وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته

وجلاه وزينه ، فكان صنيعه الإنسان (الحلاج ص70)

إذا كان هذا القول يلتقي مع صوفية الحلاج ، فإن المتنبي الذي لم يعرف بميوله الدينية مطلقاً ، لاالصوفية، يقول شيئاً قريباً من ذلك عند داود :

المتنبي : فما نحن سوى نبت بنانه ...

وكما نصح إبراهيم الفاتك معلمه الحلاج بالهرب إلى فارس ،لكن الحلاج رفض هذا الهرب ، كذلك نصحت الأميرة المتنبي بالهرب ، لكن المتنبي رفض هذا الهرب .

وهكذا وقعت هذه المسرحية تحت تأثير هاتين المسرحيتين ، وإن كان تأثير" مأساة الحلاج" أقوى؛ لذا لم تتحقق لها شخصيتها الدرامية المستقلة .

ب ـ الشكل :

وقعت هذه المسرحية في فصل واحد، ومشهد مسرحي واحد ، ولم يكن ذلك الأمر لضرورة فنية فرضها الموضوع ، وإنما لأن الكاتب مولع بالمسرحيات الشعرية ذات الفصل الواحد ، فلقد أصدر ستاً منها في فترات متقاربة .

ولقد أدى هذا الشكل إلى خلل فني كبير ، ذلك أن المسرحية لم تقم على حكاية ذات بداية ووسط ونهاية كما هو الشأن في المسرحية الأرسطية ، ولم تعتمد مذهباً أدبياً مخالفاً كما فعل عزالدين إسماعيل باعتماده المسرح البريختي ، وإنما كانت المسرحية مشهداً كلامياً ، وكان الحدث أضعف ما فيها.

أما الشخصيات المسرحية فقد شغلت شخصية كافور كل صفحات المسرحية ، وتلتها ، من حيث المساحة على الورق ، شخصية الأميرة ، وجاءت شخصية المتنبي ثالثة ، فهي لم تظهر ، كما أسلفنا ، إلا بعد أكثر من نصف المسرحية . وهذا خلل آخر ، فالمتنبي ،كما يقول العنوان، هو بطل المسرحية لا كافور، لكن التواجد المسرحي يقول عكس ذلك ، فكافور هو البطل تشاركه الأميرة وأخيراً يأتي المتنبي. أما من ناحية القيمة المعنوية فقد كان المتنبي هو البطل المطلق ، فقد كان محور الحديث بين كافور والأميرة كل الصفحات التي لم يظهر بشخصه فيها .

كما كان هناك بعض الشخصيات الثانوية مثل القضاة ومسرور والوزير ...

وإذا كان أرسطو قد حدد المسرحية بأنها "محاكاة فعل تام"10" فإن الكاتب قد أفرغ مسرحيته من هذا الفعل ، حتى لو نظرنا إلى المحاكمة على أنها هذا الفعل، رغم أنها احتلت حيزاً محدوداً من المسرحية، فإنها لم تغير من الطبيعة الكلامية للمسرحية.

وأكاد أزعم أن هذه المسرحية لم تكن إلا انعكاساً لتأثيرات "مأساة الحلاج" و"محاكمة رجل مجهول" ، فهي لم تمثل شخصية درامية مستقلة ،كما أشرنا من قبل .

2 _ المتنبي فوق حد السيف .. محمد عبد العزيز شنب(1986)

أ ـ المضمون :

يحدد الكاتب هدفه من المسرحية بشكل مباشر على الغلاف الأخير للمسرحية قائلاً :"كثيراً ما سألت نفسي : ماذا لو تحقق للمتنبي ما كان يحلم به ويتوق إليه من مال وجاه وسلطان ، وكلنا يعرف أن المتنبي عاش حياته متنقلاً مابين بغداد وسوريا ومصر وأماكن أخرى باحثاً عن حلمه الكبير الذي لاقى في سبيله الأهوال ..وفي هذه المسرحية تحقق للمتنبي ما كان يحلم به ..فماذا فعل ؟؟ هل استراح إلى حياة الرغد فنسي أفكاره ومبادئه ..أم أن هذه الحياة الناعمة لم تثنه عن الوقوف مدافعاً عن الحق ، محارباً الظلم حتى لو تسبب هذا في ضياع حلمه الكبير ."11"

والملاحظ أن هذه المسرحية تقوم على حلم المتنبي ، وتشترك معها في ذلك مسرحيتان من المسرحيات المدروسة هما: "المتنبي يجد وظيفة " و" حلم المتنبي "، كماحامت المسرحية الثالثة حول نفس الحلم ،وهذا اتفاق غريب يوحي بأن أحلام المتنبي هي التي لفتت الأدباء إليه .

تبدأ هذه المسرحية بمشهد لخيمة وحيدة في الصحراء فيها راع بسيط ، يدخل المتنبي تائهاً، عطشاناً ،حراناً ، فيرتاح لدى الراعي ويطفئ عطشه ويهتدي إلى طريقه ، لقد وصل قريباً من مملكة الشمس التي أشار إليها الراعي :

الراعي: هذه مملكة مثل ممالك أخرى، أرض وسما وبها الورد وفيها الشوك(ص10)

فهي ليست ورداً خالصاً ولاشوكاً خالصاً . يخبر الراعي المتنبي أن الملكة شمس هي التي تحكم هذه المملكة ، والتي يبدو قصرها الشامخ في الأفق ، وبأن خزائن هذا القصر قد مُلئت عن آخرها ذهبا، فيسأله المتنبي : من أين هذا الذهب ؟

الراعي: من عرق الفلاحين البسطاء، من كدح الإنسان المطحون هنا في مملكة الشمس (ص12)

ويعطي مثالاً لهذا الاستغلال الذي يسود المملكة:

الراعي: إذا طال شعر البنات وصار يلامس أردافهن يحين قطافه ، وساعتها ليس ينفع دمع ولا صرخة ، يجمع ما قصّ من شعرهن كي يرسلوه إلى ممالك أخرى .

فالمتنبي إذاً سيذهب إلى القصر وهويعلم من أمره كل شيء ، يعلم أن "أسوار القصر بلون الدم.وغصون حدائقه الوردية تُسقى من عرق الناس المكدودين التعساء" . وهنا سنلاحظ تشابهاً كبيراً بين هذه المسرحية ومسرحية "المتنبي يجد وظيفة" حيث نجد القصر يستغل الشعب ، وتقوم طائفة من الشعب تعرف باسم الجلاّبين بحمل الثلج إلى القصر بمجهودات ضخمة بينما يسرق المسئولون القسم الكبر من رواتبهم.

دخل المتنبي القصر واستطاع أن يخلب لب الملكة ببيانه الساحر، فمنحته كل ماكان يحلم به: قصراً منيفاً ،وضيعة ضخمة من عشرة ألاف فدان من أجود أراضي

المملكة ، بالإضافى إلى الخدم والحشم والعبيد تقول الملكة :لابد لشاعرنا الفذّ..أن يحيا مثل أمير ..أن يأكل مثل أمير.وتكون له أبهة مثل أمير.(24)

وهذا يعني تحقيق حلم المتنبي الذي سعىله طويلاً ، لكن لهذا التحقيق جانباً آخر يتضح من قول الوزير: هذا سهل جداً .فلنسحب من أبناء الشعب له خدماً أو حراساً.

فثراء المتنبي وأبهته لها مقابل من استعباد الناس ، لكن هذه الإشارة التي أوردها الكاتب جاءت مناقضة لهدفه من المسرحية ، لقد جعل من المتنبي بطلاً شعبياً اشتراكياً رغم تحقق كل أحلامه ، لذا كان من الأجدر به أن يرفض استعباد الناس منذ البداية ، لكن الكاتب أغفل ذلك .

وكما وجد المتنبي عند سيف الدولة الحمداني عذّالاً وحاسدين ، كذلك وجد عند الملكة عذالاً وحاسدين تمثلوا في الوزير والأمير،ابن عم الأميرة وليّة العهد، وكان هذا الأمير يسعى للزواج من الأميرة التي ترفضه بشدة .وينتقل سحر المتنبي من الملكة إلى الأميرة التي تعجب به وتميل إليه شيئاً فشيئاً ، رغم أنه في عمر والدها الملك الراحل ، إلا أنه استطاع أن يملأ قلبها بكلماته الرقيقة ويشملها بحنان غامر .

في أحد المشاهد نرى الأميرة التي تدلهت في المتنبي وهي تنتظره بشوق ، بينما تأخر هو عن موعده، وعندما حضر وسألته عن سبب تأخره قال إنه كان يمشي في الطرقات يتعرف كيف يعيش الناس . فلم تمنعه الثروة إذاً ولاالجاه من السؤال عن أحوال الناس العاديين .

تُزف الأميرة إلى المتنبي رغم ثورة ابن عمها الأمير ، لكن المتنبي ينزل إلى الشارع بعد يومين فقط من زواجه ليسأل عن أحوال الناس . يصل إلى القصر رجلان أحدهما، وهو الشاب ، سيتزوج ابنة الثاني ، يطلبان من الأميرة السماح بعدم قص

شعر العروس كي لاتصبح صلعاء في ليلة عرسها ، ويخبران الأميرة أن المتنبي وعد بعض الناس بذلك، لكن ثائرة الأميرة تثور وترفض ذلك معلنة: لو يحدث هذا مع كل امرأة في مملكة الشمس، لو تُترك كل امرأة وضفائرها فالويل لكل خزائننا، لن تعرف وجه المال. (ص59)

ومن الواضح أن هذا الإعلان جاء في غير مكانه الصحيح ، ومن الأفضل أن يأتي على شكل حديث ذاتي "مونولوج"، أو حديث مع أحد أفراد الطبقة الحاكمة ، أما أن يُوجه لهذين الرجلين فهو أمر غريب ! !أما المتنبي الذي يصل بعد قليل فإنه يعد بعدم قص شعر العروس ، وبمنع قص شعر الفتيات نهائياً . وهنا يبدأ حب الأميرة للمتنبي في الذوبان لأن المصلحة الملكية أقوى من الحب ، تثور عليه في البداية لأنه يختلط بالدهماء والأجلاف ، أما هو فيرفض وصفهم بالأجلاف ، ويمعن في انتمائه لهم عندما يعلن في وجه الأميرة بأن الشاعر ملك للناس . لكنها تعيّره بأنها قد حققت له كل أحلامه، أصبح أميراً في كل شيء ، بينما لم يمنحه الملوك الآخرون، سيف الدولة وكافور، شيئاً يذكر ، وهنا يصفعها على وجهها فيطرحها أرضاً .

وفي أول مواجهة بين القصر/ السلطة وبين الشعب حول قصّ شعر فتاة – رمز للاستعباد –يختار المتنبي ، ودون تردد ، جانب الشعب ويدافع بسيفه عن الفتاة وينقذها ويهزم الأمير وفرسانه .

يؤدي كلام المتنبي عن الظلم في قص الشعر إلى عصيان عام وتمرد، يرفض كل المواطنين قص شعر بناتهم ، بدأت الأموال تنقص على السادة ، والشرطة تزج بالآلاف في السجون ، والقصر غاضب جداً على المتنبي ، لذا يقترح الوزير أن يرحل المتنبي من مملكة الشمس لتعود الحياة إلى طبيعتها ، فيتسائل الأمير: وإذا رحل الشاعر، هل ترحل معه كلماته، هل ترحل معه أحرفه المزروعة في قلب الناس. (ص80)

وهي نفس الفكرة التي تكررت في"مأساة الحلاج" و"محاكمة رجل مجهول" و"محاكمة المتنبي"من أن الثائر قد يموت أو يرحل،لكن كلماته تبقىوتأثيره يظل.

تأتي الشرطة بالمتنبي أمام الملكة والوزير والأمير ، لكن هذا يرفض المهادنة ، ويطلب من الأمير الغاضب أن يقتله لكنه يتحداه أن ينزع أفكاره منه ..يزج به في السجن ، وفي زنزانته الصغيرة والحقيرة يُضرب عن الطعام ، يأتيه قائد الشرطة مغرياً تارة ومهدداً أخرى ، ويمنّيه بالخروج من السجن لو:

قائد الشرطة:لو أنك تنسى هذا الشيء الكامن في عقلك..أتسميه الحرية(ص86) لاتجدي محاولات قائد الشرطة فيتركه وحيداً ، عندها يأتيه صوت سيف الدولة يحاوره ، يظل المتنبي على مبادئه ؛ فيتلاشى الصوت ، وبعد قليل يأتيه صوت كافور شامتاً لكن المتنبي يتمسك بموقفه ويصرف الصوت..وأخيراً تأتيه الأميرة تطلب الطلاق ، فيطلّقها دون تردد ، وهو طلاق رمزي يشير إلى طلاق بين الطبقات لاالأفراد ، ومما يؤكد هذا التفسير ذلك الزواج الذي تم ، في مشهد آخر ، في حفل بهيج بين الأمير والأميرة التي تمقته تماماً ، لكن المصلحة الطبقية وحّدت بينهما، وأثناء هذا الحفل يحاصر الثوار القصر ويقتحمونه ويأخذون السادة إلى السجن ويُطلق سراح المتنبي .

في المشهد الأخير الذي يدور في المكان ذاته الذي دار فيه المشهد الأول، وهوخيمة الراعي ، يبحث الرجلان، ممثلا الشعب ، عن المتنبي ليعيداه إلى مملكة الشمس حيث الشعب يريده ، وبعد مغادرتهما يصل المتنبي الذي يعلن للراعي عن رحيله ، في حين يحاول الراعي منعه من الرحيل دون جدوى .

نعود إلى المقارنة بين هذه المسرحية ومسرحية" المتنبي يجد وظيفة" حيث قام الشعب بمهاجمة القصر المستغل على نفس الوتيرة ، وبتحريض من المتنبي أيضاً ، وفي

الحالتين تنتصر الثورة ويتم إطلاق سراح المتنبي . وإذا كانت مسرحية "المتنبي يجد وظيفة" قد نشرت عام 1983، في حين نشرت مسرحية "المتنبي فوق حد السيف" عام 1986 ، فإن هذه المسرحية كما يقول الغلاف الأخير قد حصلت على الجائزة الأولى للتأليف المسرحي عام 1984، أي أنها كتبت حوالي عام 1983، أي أن إمكانية تأثير الأولى على الثانية إمكانية ضعيفة جداً .

يبدو أن هذه المسرحية قد كتبت لتناقض المقولة الشائعة عن جُبن المثقفين وتراجعهم عند الشدائد، وأنهم نفعيون يحملون الثورة النظرية ما دامت تخدم مصلحتهم ، لكن إذا تحققت لهم المنفعة أو اقتربوا من ذوي السلطان وامتلكوا العز والجاه ، صاروا ضد هذه الثورة ، هذا مافعله ابن خلدون في "منمنمات تاريخية" لسعد الله ونوس عندما انضم للتتار على حساب أمته العربية، لأن مصلحته الشخصية كانت مع التتار،"12"وإن كان ونوس قد استند على بعض المعلومات التاريخية .

هذا ما تقوله المسرحية إذاً : إن صاحب المبدأ ، المؤمن عن يقين ، لايمكن أن يتزحزح عنه مهما حاز من إغراءات ونفوذ، لقد أصبح المتنبي أميراً وزوج الأميرة ، وكان من المنتظر أن يصبح ملك البلاد ، لكن هذا كله لم يمنعه من الانحياز إلى جانب الفقراء والمستضعفين ، بل دفعه إلى منع الظلم وإنصاف الناس ، وعندما كان عليه أن يختار بين القصر والسيادة والإمارة وبين الفقراء والمستضعفين،اختارالجانب الثاني دون تردد، رغم ما فيه من ألم ومشقة ..اختار أن يعيش فوق حد السيف .

ب ـ الشكل : الشخصيات :بالمقارنة مع المسرحية السابقة، فقد قام الكاتب ، شأنه في ذلك شأن داود ، بتقسيم شخصياته إلى خيّرة تماماً ، أو شريرة تماماً ، فكانت الشخصيات الخيّرة :

المتنبي : كان المتنبي هو البطل المطلق للمسرحية فلقد شغل جميع صفحاتها ماعدا مشهد واحد مابين الأمير وأتباعه ، ولقد بلغ من بطولة المتنبي الخارقة التي خلعها عليه الكاتب أنه كان وحده في جانب ، وبقية شخصيات المسرحية في الجانب آخر ، حتى الأميرة التي أحبته وتزوجته وقفت مع مصلحة الطبقة التي تنتمي إليها ، وكذلك الملكة والأمير والوزير وشاعر القصر وقائد الشرطة ، وكذا الأتباع . أما خارج القصر ، وربما خارج المسرح، كان الشعب كله مع المتنبي ، وقد تم الرمز لهذا الشعب برجلين هما "العريس" ووالد العروس التي منع المتنبي قص شعرها ، وانشغال الكاتب بالمتنبي جعله يغفل هذين الرجلين مع أهمية مايرمزان إليه .

لكن ، ربما كان أقرب للصواب ألايصطدم المتنبي بكل هذه القوى المضادة منذ البداية ، كان عليه أن يهادن حتى يمتلك زمام الأمور في يده بعد أن تزوج الأميرة ، وكان من المتوقع أن يصبح الملك وعندها سيقيم العدالة الكاملة دون سفك دماء وبطريقة أقرب للمعقولية ، ولكن هذا المتنبي سيختلف عن المتنبي الذي يريده الكاتب ، فهو يريد ثائراً مناضلاً حتى بعد أن يتحقق حلمه ، لايهادن ولايساوم ، ولايريد بطلاً دبلوماسياً ؛ ذلك أن النموذج الأول أكثر إثارة مسرحية من النموذج الثاني ومن الجدير بالذكر أن الكاتب لم يكن معنياً بالمتنبي لذاته ، وإنما باعتباره الرمزي كأي مثقف ملتزم ، لذا لم يستخدم من شعر المتنبي سوى بيتين من الشعر استخداماً عارضاً، بل إنه عندما أراد أن يلقي المتنبي شعراً للملكة كان إلقاؤه صامتاً ، وبالحركات فقط. كما لم يستخدم من حياته سوى أشياء عامة كالتجوال في البلاد ومدح الملوك والطموح العارم ، أما حياة المتنبي الخاصة فلم يستخدم منها شيئاً ، ولم يكن لصوتيْ سيف الدولة و كافور تأثير على مجريات المسرحية .

وإذا كانت عزة النفس والكرامة،أو مايسميه البعض الغرور،والعروبة أهم ما يميز المتنبي التراثي ، فإن هذا المتنبي الذي رأيناه هنا متنبي اشتراكي،بل إن اشتراكيته متطرفة.

الشخصيات الشريرة : اشتركت الملكة والأميرة والأمير والوزير وقائد الشرطة في تمثيل هذا الشر ، لذا لم يكن لكل شخصية منهم كيانها الدرامي الخاص ، بل كانوا مجرد كتلة تمثل طبقة ،إذا ما تعرضت مصالحها للخطر هب جميع الأفراد للدفاع عنها متناسين أي اختلاف فيما بينهم .

الأحداث :يتدخل الأسلوب هنا ليؤثر على الأحداث ،ذلك أن للمسرحية الشعرية منطقها الخاص في صياغة الأحداث ، لايتفق ومنطق المسرحية النثرية ، صحيح أن الأصل في المسرحية أنها كانت تكتب شعراً ، لكن مع سيطرة النثر على المسرح، أصبح الشعر غريباً إلى حد كبير ، حتى أن من يكتب بالشعر يشعر أنه غير مطالب بمنطقية الحدث ، فهنا يكون المنطق الشاعري ، لاالمنطق العقلاني ،حيث يفرض الأسلوب منطقه الخاص به .

في هذه المسرحية يكون الحدث الرئيسي هو تحقيق المتنبي لحلمه لكنه مع ذلك ظل يحمل مبادئ الحرية والعدل والخير .

أما كيف وصل المتنبي لتحقيق حلمه ، فلم يكن هذا مهماً ، لقد مدح الملكة وسحرها بشعره ؛ فأعطته كل شيء ،وسحر الأميرة بشعره فتزوجته . كان الأمر في منتهى البساطة ، ولكن ثورية المتنبي أيضاً كانت في منتهى البساطة ، مما جعلها ثورية مسرحية غير قابلة للتحقيق .كان الجدير بالكاتب أن يوقع الصراع في نفس المتنبي بين حلمه الكبير الذي تحقق وبين أحلام الفقراء ، ولكنه جعل المتنبي يتصرف بآلية بحتة ، ولأن أفعال المتنبي خالفت العرف من حيث ذهابه للعامة وهو في قمة المجد ،

فالأمراء والسادة لايشعرون بمشاعر الدهماء ، أو كما يقول برنارد شو : "ليس هناك أغبى من فقير رأسمالي سوى غني اشتراكي"، لذلك يقول الوزير: ما أتعسه من شاعر ..ترك القصر ومافي القصر إلى الزنزانة ..ماذا في عقله ؟ فمجرد أن يتزوج بنت الملكة تغدو بين يديه أمور شتى ..يلعب بالذهب وبالفضة ..يتمرغ في فيض النعمة .

قائد الشرطة: قد داس النعمة في رجليه (ص96)

ولأن الحدث الرئيسي كان أقرب إلى المقولة منه إلى الحدث ، لم يكن بحاجة إلى خاتمة منطقية ، وإنما إلى تحقق ، فبمجرد أن انتصر المتنبي لمبادئه على حساب حلمه الشخصي وجدناه يغادر إلى لامكان، وكان من الممكن لأي خاتمة أن تحل محل هذه الخاتمة دون أن يؤثر ذلك في المسرحية ، فلقد تحققت المقولة ، و الكاتب بحاجة إلى طريقة لإسدال ستار النهاية فقط .

اللغة :تفاوتت اللغة الشعرية في هذه المسرحية بين الشاعرية الحالمة المجنحة وبين اللغة الهابطة إلى حد السوقية كما وصفتها الشخصيات نفسها ، كما كان هناك مستوى ثالث هو الأغلب وهو مستوى اللغة التداولية، التقريرية أو المحايدة، وذلك مثل قول الراعي: أعرف أنك جالست أمير حلب .وجلست لكافور الإخشيدي، لكنك لاتدري شيئاً عن قصر الملكة ...أقصد أن رجال الشرطة حول القصر كثيرون (ص14)

وفي الصفحة نفسها ، والموقف نفسه تجنح اللغة إلى الخيال ، دون أن يكون هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف الشخصيات أو اختلاف الموقف... يقول الراعي: أسوا القصر بلون الدم ..وغصون حدائقه الوردية تُسقى من عرق الناس المكدودين التعساء.

أو يقول: شيءٌ مايتماوج في صدري ..لاأعرف كيف أعبّر ..

المتنبي : أتحس بطعمه ؟

الراعي : في مثل مذاق النارنج ..

المتنبي : أوتعرف لونه ؟

الراعي: في لون الصدأ النابت في الجفنين المنتفخين ..

أو تقول الملكة عن المتنبي : قد أخرج من فمه ألفاظاً في مثل بريق اللؤلؤ ، ولها طعم رحيق الورد ..ولها عطر الأنسام الصيفية ..بل إني أسمع أحياناً في نبرة صوت المتنبي صوت الأسياف المبتلة بضجيج الحرب ، أتلمس في كلمات الحزن على شفتيه صدى الأيام المغسولة بدموع السهد. (ص17)

ويعود الكاتب ليستخدم بعض التعابير السوقية مثل :

الأميرة : وبإمكان المتنبي أن يصنع من الفسيخ شربات (ص25)

أو:الأميرة : يرتاح العاشق حين يرى حلمة أذنه

الملكة : هذا تعبيرسوقي (ص27)

أو:حاسب..الماء يبلل ثوبك (ص32)

أو: الأميرة : يا أرض انهدي ما عليكِ قدي (ص33)

أو :الأميرة : شيء ينرفز (ص39)

المتنبي :خلاص .. امسحي دموعك (ص37)

زاهر: يافرحة ما تمت .ص70) ...إلخ

والملاحظ أن معظم هذه التعابير قد وردت على لسان الأميرة ، لكن اشترك معها الآخرون في هذه الصياغة ، بينما ، لم نجد شيئاً منها على لسان الوصيفة أو التابعين من الخدم ، أو من هم في مستواهم .

بل وجدنا الوصيفة تقول عن المتنبي :

الوصيفة:في عينيه هوى يتألف من كلمات خمرية..وعلى شفتيه رحيق وعذاب (ص33)

وهذا يعني أن لغة الشعر التي هي لغة الشاعر لالغة الشخصيات انسحبت على الشاعرية كذلك بحيث صارت الشاعرية بحسب لغة الشاعر لابحسب لغة الشخصيات. وكان من الجدير بالكاتب أن يلائم بين الشخصيات والمواقف من جهة والأسلوب من جهة أخرى .

ثانياً :المسرح النثري

1ـ المتنبي يجد وظيفة .. عبد السميع عبدالله(1983)

أ ـ المضمون :

تبدأ المسرحية باستهلال يقوم بدور التمهيد لأحداث المسرحية ، حيث نرى الخليفة العباسي المستكفي يعيش حياة لهو وبذخ في قصره في بغداد ، وهو يسلط اللصوص لسرقة الناس ثم يتقاسم الغنيمة مع هؤلاء اللصوص لينفقها على الراقصات ، وفجأة يدخل بعض الملثمين المسلحين ، يختطفون هذه الأموال ويهددون بقتل الخليفة ويرددون أشعار المتنبي ، وبعد خروجهم يسأل الخليفة وزيره لماذا لم يقتل هذا المتمرد صاحب هذه الأشعار ،فيخبره أن والي حمص قد استتابه وأشهد عليه ، وعندما يصرخ الخليفة في الحرس ،وهم من الأتراك ، يأتي قائدهم طشتمر يتحدى الخليفة ، ويجعل جنوده يجرونه إلى السجن ، ويأتون له بطفل صغير هو ابن المقتدر ، فيضعه في حجره ويجعل منه خليفة. ولقد أسهبت كتب التاريخ في تصوير ضعف الخلافة في القرن الرابع الهجري ، وتحكم الموالي من الأتراك والجواري في الخلفاء، وخلع هذا وتنصيب ذاك على هواهم، حتى إنهم نصبوا خليفة ليوم واحد ثم خلعوه."13"

ويكون مشهد الفساد هذا خلفية تاريخية استمدها الكاتب من كتب التاريخ لمسرحية فانتازية، ولكن ذلك لم يأتِ عبثاً ، فعندما يشتد سواد الواقع ؛ يلجأ الناس إلى الأحلام ، فكانت هذه الخلفية التاريخية مبرراً للوصول إلى هذا الحلم .لكن الكاتب

يستكمل هذه الخلفية أو الاستهلال بمشهد للمتنبي مع رفيقه و راويته حماد في الصحراء ، بعد أن سُرق منهما كل شيء ، مع العلم أن حماد الراوية الذي استُغل اسمه هنا عاش في القرن الثاني الهجري وليس الرابع الذي عاشه المتنبي ،نُفاجأ بالمتنبي ولسانه مصاب فينطق السين شيناً بشكل مضحك ، ويقول له حماد إن هذا نتيجة أنه أساء استخدام لسانه و"مشى عليه" أي سخّره لمن لايستحقون المدح،وبمجرد أن قال بيتاً صادقاًهو :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

شفي لسانه ثانية ، ويسأله حماد عن وجهته ؟ فلايجد المتنبي من سبيل يتجه إليه ! ففي كل مكان إما أعداء يتربصون به أو أعاجم أو "دولة الخدم" ويقصد بها الخلافة في بغداد . وكانت قد وردت إشارة لحيرة المتنبي في المكان الذي يذهب إليه بعد هربه من مصر لدى بعض الدارسين."14"

ولما ضاقت بهما السبل ، ولم يجدا أي مكان يذهبان إليه ، فكر المتنبي في خلق مدينة مثالية "يوتوبيا"، وبدأ يرى القباب المذهبة والطرق والأسواق والطعام المكوم كالتراب ، لاحقد ولاحسد ولابغضاء :

أبو الطيب :لقدسئمت هذه المدن العربية المتناحرة كأنها جسد مقطع الأوصال .

حماد: أتأمل أن يعود جسداً واحداً ؟

أبو الطيب :يتفجر عنفواناً ويزلزل الدنيا من جديد "15"

هنا يعترضه فاتك الأسدي،قاتل المتنبي ، وبقية الأمراء والحكام الذين أرادوا قتله، وكان أحد الباحثين قد أشار إلى أن مقتل المتنبي كان بتحريض من بني بويه والعلويين والفاطميين وكافور، وكان فاتك الأداة لهؤلاء جميعاً"16"،يقتلونه فعلاً ويتركون حماد يبكي صديقه وشاعره ، وإذا بالمتنبي يقوم من بين الأموات،أوأن روحه هي التي تقوم لتحقق الحلم :

أبو الطيب : فلننطلق..لنخرج من هذا الجسد..نتحررمن المادة. .حيث نحلّق بلا حدود. هيا (ص30)

وهنا ينتهي المتنبي التراثي ويبدأ المتنبي الذي صنعه الكاتب .

لكن الكاتب يكاد يضع نهاية مسرحيته قبل أن يبدأ فصلها الأول، وذلك عندما يضع موّالاً على لسان قافلة بعيدة في الأفق يتحدث عن فارس ليس له مثال عبر السهول والجبال وطالب بالسراب والمحال ، لكنه لم ينل شيئاً. (ص31) لقد حكم على الشخصيات وعلى المسرحية بهذا الموال البعيد، ولعل الكاتب أراد أن يحاكي بذلك بعض المسرحيات الكلاسيكية التي كان كتّابها يضعون خلاصتها في البداية ...

في الفصل الأول يدخل المتنبي ورفيقه حماد مدينة يوتوبيا المنيعة من سرداب اللصوص ، ويشاهدان عشرات الحالات من الغش والخداع والسرقة والعبودية وتجسس السلطة على الشعب، أي كل ما يخالف أفكار المتنبي صاحب المدينة الذي يقرر أن يصلح من هذا الواقع السيء ؛ فيتورط ويُقبض عليه عندما اعترض على عملية بيع الإماء في سوق العبيد ، ولأنه مزق جُبة أحد التجار بسيفه ولم يملك مالاً لدفع ثمن هذه الجبة ، بيع المتنبي نفسه لصالح هذا التاجر ليسترد ثمن جبته التي تساوي عشرة دنانير ، بينما باع المتنبي بعشرة دراهم فقط ورفيقه حماد بدرهم واحد ، اشتراهما حنبلة وهو صاحب مقهى يقوم بالتجسس على الشعب ، وهو مسئول عمليات توريد الثلج للقصور بواسطة الجلابين (البروليتاريا) ويجمع ثروته من استغلالهم ، ففي حين يكون أجر الواحد منهم كيساً من النقود يومياً ، لايصل إلا ربع هذا الكيس لصاحبه ، ويقوم حنبلة وغيره من المسئولين بسرقة الباقي ، وتكوين ثرواتهم الضخمة من"فائض القيمة".

يقوم المتنبي بالترويح عن الجلابين في المقهى بأن يقصّ عليهم القصص والحكايات ، حيث يستثمر الكاتب هنا فكرة وردت في مسرحية "السلطان

الحائر"لتوفيق الحكيم، فعندما عُرض السلطان للبيع فكر الخمار في شرائه كي يقص على رواد الحانة قصص بطولاته وحروبه ليسليهم.وعندما تشتريه الغانية تطلب منه أن يقص عليها قصصاً كي يسليها،"17"يقص المتنبي على الجلابين قصص البطولة والمجد ، ويلاحظ أنهم يضمرون الثورة وأن لهم قائداً يدعى مراد ، قطع المسئولون لسانه الذي ينشر الثورة. يقف المتنبي مع هؤلاء الجلابين الذين يحيطونه بالحب والوفاء والرعاية إلى أقصى حد .. مع نهاية الفصل الأول يأتي مندوب من القصر ليأخذ المتنبي من بين الجلابين ليعمل في وظيفة هناك، لأن مواصفاته الجسدية وافقت المواصفات التي طلبها الأمير.وفي حين تمسك به الجلابون ونصحه حماد بأن يظل معهم ، قرر المتنبي الذهاب إلى القصر واستلام الوظيفة مدّعياً أنه سيخدم الجلابين من داخل القصر.

ومع أن جميع أحداث هذا الفصل كانت تشير إلى فشل فكرة يوتوبيا الخالية من كل فقر أو فوارق اجتماعية ..إلخ إلا أنه اتسم بدفاع المتنبي المستميت عن فكرته دفاعاً نظرياً ..وكان الكاتب موفقاً في وضع بذور يقوم باستثمارها فيما بعد ، فعندما نصحه حماد بعدم الذهاب للقصر قال المتنبي : لماذا ياعدو النعمة (ص85)

مما مهد لاستنامة المتنبي للنعمة فيما بعد على حساب المبادئ .

في الفصل الثاني تكون وظيفة المتنبي سائساً في الإسطبل التابع للقصر ، يقوم بتنظيف الروث ، لكنه يدخل القصر من خلال مدحه للأمير ويصبح نديمه ويقضي معه أجمل الأوقات ما بين الخمر والجارية وذلك بعد تفوقه على جميع شعراء القصر في المديح الذي كان يرفضه تماماً ، وقد حفل الفصل بمعارك أدبية ومعلومات شعرية بل وعروضية وكان هذا ملازماً للحرب بين الشعراء ، وقد استخدم الكاتب الكثير من أشعار المتنبي في مجالات عديدة .

ولم تقف تحوّلات المتنبي عند حد ، فعندما اكتشف لسان مراد قائد الجلابين في دورق يسبح في سائل بللوري في القصر ، اشمئز وتألم، لكن الأمير أمره بأن يصف لحظة قطع اللسان وإلا أخرجه من الجنة ، تأبّى قليلاً لكنه قال شعراً ،وقد أحسن الكاتب عندما جعل الأصوات التي تخرج من الشاعر مجرد تأتأة وفأفأة ثم صوت نهيق كنهيق الحمار، في حين كان الأمير يستحسن هذا الشعر الرائع ، ومنحه العطايا ، وهذا تعميق لنفس الفكرة التي بدأها حماد في الاستهلال عندما جعل شعر المديح يصيب المتنبي في لسانه بالخلل ، بينما أشفاه بيت شعر صادق . ظل المتنبي إذاً يتقلب بين الوقوف للأمير والسجود له ولقد فكر الأمير أن يلهو بالمتنبي فطلب من وزيره أن يعرض على المتنبي قضايا الناس ليقضي فيها ، وهذا استغلال لحكاية "النائم واليقظان في ألف ليلة وليلة " كما نرى آثار مسرحية ونوس " الملك هو الملك" "18 "وذلك عندما قام الوزير بتحذير الأمير من أن اللعبة قد تتحول إلى حقيقة " هذه النزوة ربما تضيعنا (ص115) وهذا ما حدث عند ونوس، لكن الأمير هنا قد احتاط فوضع في رقبة المتنبي حبلاً يشده متى أراد فيمنع المتنبي من الكلام ، ويتركه متى أراد فيتكلم .

ولقد أصبح المتنبي جزءاً من هذا النظام، فلقد طالب الشاهبندر برفع الأسعار خمس مرات ، فقرر المتنبي رفعها ثماني مرات ، فيعقب الوزير :

الوزير: إنه شرب الصنعة بسرعة ،أخاف أن يفعلها ويستولي على العرش.(ص117)

يغوص هذا المتنبي في الوحل حتى أذنيه ويوقع مرسوم قطع لسان مراد، بل إنه يرى أن الاكتفاء بقطع اللسان دون الرأس رحمة تداركته من عند الله .

وعندما يأتون بشنيارة ، وهو أحد الجلابين الذين تلقوا تعاليم المتنبي الثورية ، وقد سرق رمانة وأكلها من بستان الأمير ، يحكم عليه المتنبي بقطع يده ، وهنا يثور

شنيارة الذي عرفه واستغاث به منذ البداية : ألم تعلّمنا أن الذي يسرق ليأكل لاعقاب عليه؟! أيها الكذاب المنافق..(ص120)

وهنا يجب القول أن المتنبي كانت تنتابه لحظات تحرك ضميره (ص108)مثلاً وغيرها ، لكنها سرعان ما تهدأ لتماشي رغبة الأمير ، لقد فعل المتنبي أكثر الأشياء خسة ودناءة فقط لكي يحافظ على وظيفته في القصر.(ص126)

يتآمرحنظلة والوزير على المتنبي ، ويخبر حنظلة الأمير بأن الجلابين أعلنوا التمرد والعصيان وأن من يقف وراء هذا العصيان شاعر وضع بذور الثورة في نفوسهم وأخذ يقرأ له شعر المتنبي الثوري في حين كان المتنبي يتضاءل ويشتم الشعر وصاحبه . طالب الأمير بالإتيان بهذا الشاعر ليعاقبه فقال حنظلة لقد أرسلنا في طلب راويته ليشهد عليه، ويحاول المتنبي قتل حماد كي لايشهد عليه ويلقي بخنجره عليه لكنه لايموت ، يأتون به إلى الأمير ويسألون عن صاحب هذه الأشعار فيقول إنه مات منذ زمن وقد قتله فاتك الأسدي ، ويرى أحد النقاد في موقف حماد هذا أنه أوقع المسرحية في"مغالطة فكرية ودرامية، حيث أن ذلك الوجود السابق على قتل المتنبي في الصحراء لم يكن وجوداً مغايراً لما كان بعد ذلك ، وإن دوره في اسطبل الأمير وبلاطه ، هو امتداد لأدواره السابقة في بلاط سيف الدولة وعضد الدولة وكافور وغيرهم"19" وهذا الرأي يحمل كثيراً من التحامل على المتنبي ، حيث إن ماعرضت له المسرحية قبل عملية القتل كان جانباً من المتنبي التراثي الذي كان أكثر شعراء العربية كبرياء وعزة نفس ، فإذا سلمنا بمثل هذا الرأي حول المتنبي فإننا نقضي على معظم شعراء العربية الذين كتبوا شعراً في المديح .يعلن حنظلة أن المتنبي هو قائل هذه الأشعار فينكر حماد معرفته بهذا المتنبي مطلقاً ، يسعد المتنبي لموقف حماد هذا في البداية ولكن عندما يضعون حماد على آلة التعذيب كي يعترف ، يعترف المتنبي نفسه بأنه صاحب هذه الأشعار وأنه مسئول عنها ، من

أجل هذه اللحظة إذاً أوجد الكاتب لحظات تأنيب أو صحوة الضمير التي كانت تنتاب المتنبي ، ولكي لايبدو اعترافه هنا مخالفاً لسلوكه العام ، ولكي يرتفع بالمتنبي ، الذي صنعه، عن مستوى الحيوانات ، ينتهي المشهد عندما يقوم الجلابون بمهاجمة القصر مطالبين بحماد ، فيأمر الأمير بخروج حماد و المتنبي والجارية المتعلقة به ، ويسأل الأمير عن سبب ثورة الجلابين فيعلم أن وزيره وحنظلة يسرقان مخصصات الجلابين وعندها يأمر بإحضار الوزير ، يكون الوزير قد جاء ومعه الجند وخلع الأمير ونصّب نفسه بدلاً منه .وهنا أدرك المتنبي اليأس من الإصلاح :

حماد: "للمتنبي " أما زلت تبحث عن وظيفة ؟

المتنبي : كلا إن وظيفتي بالخارج يا حماد ، قد أعود إلى صحراء واسط لأُحيي رفاتي الراقد في قرية النعمانية، وقد يراني الجلابون في خانهم ذات ليلة، وقد أتصدر حلقة من حلقات الأدب. (ص123)

والملاحظ أن نهاية الأمير في هذه اليوتوبيا هي ذاتها نهاية الخليفة في الاستهلال، وأن موقف المتنبي من الجلابين الذين خذلهم هو ذات موقفه من القرامطة الذين أشارت المسرحية في الاستهلال أنه خذلهم ، وكأن هذا الاستهلال كان اختصاراً للمسرحية .

وإذا كانت مسرحية "المتنبي فوق حد السيف" تدافع عن المتنبي الذي يرمز للمثقف ، وتحاول إثبات أن صاحب المبدأ لايتنازل عن مبدأه مهما كانت الظروف ، فإن هذه المسرحية تقول عكس ذلك تماماً ، فلكي يحافظ المتنبي على وظيفته في القصر/الجنة ، ضحّى بكل شيء بدءاً بالمبادئ التي كان ينادي بها ، فلقد تنكر لها كما تنكر لتلاميذه ، وكانت نهايته عبثية ؛ فلاهو حظي باحترام الفقراء حتى النهاية ، ولاهو حافظ على وظيفته حتى النهاية .إنه المثقف الانتهازي المهزوم نفسياً ، لقد تذرع

بأنه سيخدم قضية الجلابين من داخل القصر ، ولكن ذلك كان مجرد ذريعة لتحقيق أطماعه الشخصية ، لقد تنازل عن جميع مبادئه الواحد تلو الآخر ، بل إنه تحول إلى سكين في ظهر هؤلاء الجلابين الفقراء .

وربما كان موقف المتنبي الحقيقي من القرامطة هو الذي أوحى للكاتب بهذه المسرحية ، حيث تتحدث كثير من الكتب عن انضمام المتنبي للقرامطة في شبابه ، أو بالأحرى في فقره وقلة شأنه ، وعندما أصبح من كبار الأغنياء تصدى لهم مع غلمانه وعبيده وهزمهم وأوقع فيهم العديد من الخسائر ، أي أنه أصبح عدواً لحلفاء الأمس ، و السبب هو المصلحة الشخصية .

ب ـ الشكل :

وقعت المسرحية في قرابة مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، وكانت حافلة بالأحداث و الشخصيات أكثر مما تحتمله مسرحية واحدة . بدأت المسرحية باستهلال طويل انقسم إلى مشهدين، كان من الممكن أن يكون فصلاً مستقلاً،لولا أن الكاتب أراد التنبيه إلى أن كل هذه اللوحات و التفاصيل التي عرض لها ليست سوى خلفية للمسرحية الحقيقية ، إنها الواقع السيء الذي أنتج الخيال ، الحلم أو اليوتوبيا ، ولكن هذه اليوتوبيا كانت انعكاساً آخر لهذا الواقع المظلم ، لايقل عنه سواداً .

بعد الاستهلال كان هناك فصلان ، لم يكن هناك مبرر فني للفصل بينهما ، لكن نظراً للطول المسرف للفصلين كان من المستحيل دمجهما في فصل واحد .

الشخصيات : استخدم الكاتب في هذه المسرحية عدداً كبيراً من الشخصيات، لعب عددٌ منها دوراً في الاستهلال فقط ، ولم يعد له أي دور في المسرحية مثل الخليفة ووزيره والقائد التركي... إلخ

أما في المسرحية فكان هناك من الشخصيات الأساسية : المتنبي ، حماد ، الأمير ، الوزير، الشهبندر، الجارية ، حنبلة ، حنظلة ، النخاس ، شنيارة ... إلخ . وإلى جانب هذا العدد من الشخصيات استخدم الكاتب الجموع مثل : "الجلابون"ودورهم أساسي في المسرحية ، وهناك التجار ودورهم لايقل أهمية ، وهناك الجند أو الحرس ...وهكذا حفلت هذه المسرحية بكمٍّ من الشخصيات يكفي لعدة مسرحيات .

المتنبي : كان المتنبي في الاستهلال هو المتنبي التراثي بهمومه ومشاكل عصره وشعره وإحساسه بضياعه وضياع العرب في هذا العصر ، أما في المسرحية ذاتها فقد كان المتنبي شخصية خيالية من صنع الكاتب لاتمتُّ للمتنبي التراثي بصلة، سوى بعض الأشعار التي اضطر الكاتب لاستخدامها في الحرب بين المتنبي وشعراء القصر .

والحقيقة أن صورة المتنبي في هذه المسرحية صورة سلبية ، وذلك بخلاف جميع المسرحيات الأخرى التي وظفت هذه الشخصية ،فهو نموذج المثقف البراجماتي الذي يحمل المبادئ والشعارات إلى أن تتحقق مصلحته الشخصية ، عندها يتخلى عن هذه المبادئ ويصبح عدواً لتلك الشعارات .

ولم يكتفِ الكاتب بالمتنبي من خلال شخصية واحدة بل رسم متنبي ونيّف ، أو متنبي ونصف ، فلقد كان حماد الراوية هو هذا النصف أو النيّف ، فلقد جعل منه الكاتب ضميراً "منفصلاً" للمتنبي ، كلما خضع هذا للشهوات أو خرج عن معيار الشعر الصحيح ، ذكّره حماد ، أو قل وبّخه ، وأعاده إلى جادة الصواب ، وعندما تخلى المتنبي عن كل مبادئه ظل حماد متمسكاً بها ، وقد حاول المتنبي قتله فلم يفلح لذا انتهت المسرحية بأن خرج المتنبي مع حماد من حياة الجنة،وأعلن مسئوليته عن ذلك الشعر الثوري الذي حرّض الجلابين على التمرد .

أما بقية الشخصيات فكانت من صنع خيال الكاتب باستثناء شخصيات الاستهلال التي كانت حقيقية ، وقد كان الصراع في المسرحية بين الجلابين الفقراء وبين الأغنياء أو الطبقة الحاكمة ، ولم تكن نتيجة الصراع هي التي تهم الكاتب وإنما موقف المتنبي من هذا الصراع ، فلقد وقف المتنبي مع الجلابين عندما كان ضعيفاً ومقهوراً، ولكن بمجرد أن استرضاه القصر وذاق حياة النعيم ، تحول إلى جزء من هذا الكيان ، بل وحاكم بعض الجلابين أحكاماً قاسية .

الأحداث :جاءت المسرحية حافلة بعشرات وربما بمئات الأفعال الصغيرة المتلاحقة وربما كانت كثرة الأحداث ناتجة عن كثرة الشخصيات ، أو أن كثرة الشخصيات هي التي نتجت عن كثرة الأحداث . ويتحكم في هذا الأمر طريقة تفكير الكاتب ؛ هل يفكر من خلال الأحداث أم من خلال الشخصيات ، ولو أن الأقرب منطقية للمسرح هو التفكير من خلال الأحداث التي تقوم بصناعة الشخصيات.

اللغة : وضع الكاتب المسرحية نثراً باللغة العربية الفصحى ، ولم يستخدم من أشعار المتنبي سوى أقل القليل ، لكنه كثيراً ما اضطر إلى استخدام الكلمات العامية أو الكلمات ذات الأصل الفصيح التي ارتبطت بسياق عامي :

الخليفة: الله لايغلب لكم خليفة(ص10)

حماد :لسانك مدوحس (ص13)

المتنبي : أمير أنطاكية على سن ورمح(ص14)

المتنبي : هَزُلَت (ص20)

هامان : " صارخاً" ها..من هناك (ص38)

الأمير : حمضت (ص95)

حماد : دا احنا ح ناكل ضرب (ص49)

حماد : حلمك يامعلم (ص43)

هذا إلى جانب أن القائد التركي كان يتكلم العامية على الطريقة التركية في حواره :

طشتمر : "يجلس على العرش ويضع الخليفة الطفل على حجره" فلتدخل حاشيات من شان أعمل تحية لخليفات جديدة...

وعندما يمدح أحد شعراء البلاط الخليفة الجالس على حجر القائد التركي يقول:

طشتمر: تمام ...تمام ولد شاعر ...اعطوه مائة درهم ....إلخ (ص10ـ11)

ومما يتصل بالشكل كذلك أن الكاتب استخدم تقنية كسر الحائط الرابع لمرة واحدة فقط وذلك عندما كان المتنبي يجري خلف حماد شاهراً سيفه يريد قتله :

"يحني حماد هامته وأصبعه السبابة مرفوعة ، ينظر إلى الجمهور ويغمز له كأنه يقول إنها لعبة ." (ص16)

وهذا أثر من آثار بريخت ، ولكن من الواضح أنه وصل إلى الكاتب عن طريق ونوس وبالذات عن طريق مسرحية "الملك هو الملك" التي اتضح التأثر بها في غير موضع كما سبقت الإشارة .

ومن ذلك استخدام الكاتب ملامح من المدرسة التعبيرية ، وذلك عندما أخذ المتنبي يقول شعراً منافقاً رغماً عنه :" يحاول المتنبي أن ينشد شعراً فتخرج منه تأتأة وفأفأة وحأحأة ثم ينطلق منه نهيق كنهيق الحمار"

الأمير :" يصيح معجباً" ياسلام يا سلام سلّم..إلخ (ص114)

فهذه الأصوات إذاً لم تخرج على الحقيقة الخارجية ولكن على الحقيقة الباطنية ، إن المتنبي الذي يحتقر نفسه عندما يمدح يرى أن ما يخرج منه ليس إلا تأتأة

وفأفأة ونهيق ، بينما يرى الأمير في هذا المدح أروع مدح قيل فيه .ومن هذا القبيل إصابة لسانه من كثرة المديح ، وشفاؤه ببيت شعرصادق .

فالتعبيرية إذاً نقل الصورة الباطنية كما تراها الشخصية ، وليس الصورة الخارجية التي يراها الناس جميعاً . "20"

2 ـ المتنبي والمستقبل العربي ـ السيد فرج (1986)

أ ـ المضمون :

اختلفت هذه المسرحية عن باقي المسرحيات التي قامت بتوظيف شخصية المتنبي من حيث أنها مسرحية معاصرة تماماً وتدور حول أحداث معاصرة .

تبدأ أحداث المسرحية عام 1955 في مدرسة في دير البلح ، نرى مجموعة من المدرسين من جنسيات مختلفة: ليس الفلسطينية وخطيبها يوسف المصري مدرس التاريخ ، و عدنان مردم السوري، والشيخ عبد الباسط مدرس اللغة العربية المصري المعجب بالمتنبي والذي لايفتأ يردد أشعاره ، ومن كثرة ترديده لأشعار المتنبي ، يتمثل له هذا الشاعر بشراً سويا ويقول :

مامقامي في أرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود "21"

ويكون هذا البيت مدخلاً للحديث عن اليهود وشرورهم وتقاعس الحكام العرب عن محاربتهم ، هذا على لسان الشيخ عبد الباسط في حين يردد المتنبي أشعاراً عن الحرب والقتال والكرامة والعزة ،وبين هذه الأبيات يضع الكاتب رأيه السياسي على لسان عبد الباسط : معك حق ..إننا لانعفي أنفسنا من مسئولية الأحداث التي وقعت لنا ، فقد كان واجب أن نكون مستعدين والعدو قائم بين ظهرانينا ، إذ راح يستعد بالسلاح خفية ويستعطف الدول الاستعمارية فتعطيه حتى حل علينا الويل والثبور ودهمتنا عظائم الأمور .

المتنبي : أعيذكم من صروف دهركم فإنه في الكرام متهم

عبد الباسط : والآن ماالموقف ؟ ما الرأي ؟

المتنبي : أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

(ص52)

وهكذا يستمر هذا الحوار المجازي الذي يقترب من حوار مسرح العبث ، فأبيات المتنبي ذات معاني عامة ، بينما يتحدث عبد الباسط عن وضع خاص ، وبعد أن يمضي طيف المتنبي يقول عبد الباسط لزملائه من المدرسين : لقد جاءني صاحبي بالخبر اليقين ـ إن الصهاينة يمكرون بنا ..هذه لعبة استعمارية ، إنهم يعطون الفرصة للإسرائيليين لكي يضمدوا جرحهم ويشحذوا سلاحهم ثم ينقضون على حين غرة !! (ص57) فكيف حصل المتنبي على هذه المعلومات وهو قادم من عمق التاريخ ، بينما غابت عمّن يعيشون الآن ؟! وكيف قام المتنبي بتوصيلها وهو لم يقل إلا أبياتاً عامة المعنى .!!

يحضر مختار القرية إلى المدرسة برفقة الناظر، حيث يحذّر المختار من أن اليهود يزمعون على ضرب العرب بالطائرات وأن المدرسة في خطر وإذا بالقذائف تسقط فوق المدرسة التي تسقط على رؤوس التلاميذ والمدرسين ، بعد فترة نرى ليس ويوسف يتحركان وتشتبك أيديهما بين الغبار والدم ، ومن الواضح أنه لقاء رمزي بين فلسطين ومصر يظهر توحدهما تجاه الخطر الصهيوني .

في الفصل الثاني وبعد حوالي سنة تكون القاهرة هي مسرح الأحداث وتنتقل الشخصيات إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون حيث تعمل ليس ويوسف وعبد الباسط في محطة صوت العرب ، يكون يوسف قد تزوج من ليس ، أما عبد الباسط فإنه لايزال يناجي طيف المتنبي ويسأله الحل في مشكلاتنا المعاصرة ولايقطع ذلك إلا زيارة زميلهم

الرابع عدنان مردم السورى ، الـذي تعـاقد للعمـل في تونـس ، ولكنـها مصادفـة غريبـة ومقحمة أن يجتمع الأربعة ثانية بهذا الشكل .

على أية حال فـإن يوسـف يُعـد تعليقاً إذاعيـا يقـوم علـى الهتـاف الحماسـي وتحقـير العـدو، يوافـق عليـه المديـر أحمـد سـعيد الـذي سـيلقي هـذا التعليـق بعـد الأخبار"بصوته الـذي يزلـزل إسـرائيل"(ص77) ويتـم تغييـب الشـخصيات المسـرحية بطريقة عشوائية ليخلو الجو لعبد الباسط وطيف المتنبي ، يعـرض عليـه الوضـع العربـي السيء فيرد المتنبي ببيت من الشعر يناسب المقام أو يقترب منه ، وهكذا صفحات طـوال دون أية أحداث ، وهذا مايدفعنا للقول أنها مسرحية كلامية .

ويكون الفصل الثالث تكراراً لما حدث في الفصلين السابقين من حـوار بـين عبـد الباسـط و المتنـبي حـول الوضـع العربـي ، وكـان الجديـد في اختـلاف المكـان ، حيـث الشخصيات هي نفسها ولكنها تعمـل هـذه المـرة في إحـدى قـرى السـعودية وذلـك عـام 1967 ، ونعلم أن عبد الباسط قد واصل تعليمه وحصل على الدكتوراه حول المتنـبي، لذا ناقش عبد الباسط المتنبي في مؤتمر القمـة العربيـة ، والـلاءات الشـهيرة : لاصلـح ، لاتنازل لااستسلام ، هذه اللاءات التي تحولت إلى "نعمات"!!

لقـد كـانت المسـافة شاسـعة بـين الواقـع والخيـال: الواقـع أن هنـاك ثـلاث شخصيات منسية في قرية منسية في صحراء منسية – إلامن نفطها– ، أمـا الخيـال فـهو أن هذه الشخصيات هي الـتي تحـدد ، بالتشـاور مـع المتنـبي، مصير الأمـة العربيـة ، وتعمل على تحرير فلسطين !!

في الفصل الرابع تظل النبرة الخطابية تعلـو حتـى تتحـول إلى خطابـة بحتـة ، فيتحول هذا الفصل إلى مجموعة من الخطـب الناريـة تحـض علـى التوحـد والوقـوف في وجه المعتدين ، يكون هذا المهرجان الخطابي في مدرسة قريـة المجمعـة ، حيـث تعمـل

الشخصيات المسرحية ويقوم الناظر باستغلال فرصة انتقال الدكتور عبد الباسط للعمل في الجامعة لعمل هذا المهرجان الخطابي الاحتفالي والذي تسوده الروح الحماسية ، حيث نسمع الشخصيات من معظم البلاد العربية " مصر وفسطين السعودية ، سوريا إلخ .مع هتافات بحياة فلسطين وحريتها ، وتنتهي المسرحية بهذه الهتافات العالية مع شعور زائف بالسعادة والراحة .يترافق ذلك مع وصول المتنبي شخصياً ،وبعد أن كان طيفاً يراه عبد الباسط وحده، رآه الحضور جميعاً وصفقواله ، واشترك في هذه الحفلة بقصيدة قوية تناسب الموقف .

والاحتمال الأرجح عندي أن يكون الكاتب قد شرع في كتابة هذه المسرحية في أواسط الخمسينات وخاصة الفصلين الأول والثاني، ثم وضع الفصلين الثالث والرابع في العام 1967 ، ولكنه لم ينشر المسرحية إلا في العام 1986 ، فالفترة الزمنية من 1948وحتى 1973 كانت زاخرة بمثل هذه الأعمال الأدبية التي تُعلي من شأن البطولة والنضال الجماعي والفردي ، وتميزت في معظمها بالمباشرة وعلو النبرة لأنها كانت من أدب المعركة ، وهذا الأدب يتسم عادة بالمباشرة وإثارة العواطف الجياشة والتعبئة والشحن بأقصر الطرق وهي العاطفة ، والإعلاء من شأن الذات والتقليل من شأن الآخر، يترافق ذلك مع نظرة نمطية ، بل مغرقة في النمطية لهذا الآخر ، كل هذا بعيداً عن الفنيات اللازمة للجنس الأدبي المكتوبة فيه ، لذا كان غريباً أن تنشر هذه المسرحية في النصف الثاني من الثمانينات بعد أن تحول الصراع العربي ـ الإسرائيلي إلى صراع فلسطيني ـ إسرائيلي ! ! وتم تحييد مصر القوة الأكبر في العالم العربي، وتحول خطابها السياسي من" تحرير فلسطين ووحدة الأمة العربية" إلى "تقديم المشورة والخبرة الدبلوماسية للفلسطينين كلما طلبوها" .وتحولت تعليقات أحمد سعيد النارية إلى أهم

علامة من علامات "حماقات الماضي"، لذا فإن هذه المسرحية تبدو غريبة تماماً عن المحيط الذي نشرت فيه ، فهي قد تأخرت عن زمانها بحوالي ربع قرن على الأقل .

ب ـالشكل :

تعيدنا هذه المسرحية وبقوةإلى قضية الشكل والمضمون ، وأوّلية أحدهما على الآخر ، وهي الوجه المعاصر لمشكلة اللفظ والمعنى التي أثيرت في النقد القديم عند العرب ،كان النقاد العرب ، وعلى رأسهم الجاحظ قد غلّبوا اللفظ على المعنى وقال الجاحظ في هذا المجال :إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني، وجعل الجاحظ القيمة الحقيقة منوطة بالصياغة ، أي بالشكل ."22" وهذا ما ينطبق على موضوعنا تماماً ، فتحرير فلسطين ووحدة الأمة العربية أعز الأماني على كل عربي لكنها" رغم خطورتها" لاتكفي لعمل مسرحية ناجحة ، لأن متطلبات المسرحية غير متطلبات النضال .ولقد اعتمدت هذه المسرحية على هذا المضمون النبيل والغالي لكنها لم تجد القالب الفني لتوصيله ، فظلت نوعاً من الخطابة والهتاف .

كانت هذه المسرحية ذات مستويين : الأول مستوى الشخصيات المعاصرة وهو مستوى واقعي أبطاله ليس ويوسف وبقية المدرسين ، وهومجرد خلفية للمستوى الثاني وأحياناً يُشكل المدخل المناسب لهذا المستوى ، الآخر مستوى المتنبي وهو لقاء بين مدرس اللغة العربية عبد الباسط وطيف المتنبي الذي يظهرله فقط ويتحدث الإثنان مطولاً ،وغاب عن الكاتب أن عبد الباسط، الذي كان هو قناع المؤلف،جاء شخصاً مجذوباً يكلم الأشباح طيلة المسرحية التي كان أغرب ما فيها أن الطيف الذي كان عبد الباسط يناجيه قد تجسد للجميع وصفق له الطلاب في تحية حارة، وكأن قدوم المتنبي الحقيقي إلى حفل مدرسة المجمعة في السعودية أمر منتظر ! !

ولعل الكاتب في فعله هذا يقترب تماماً من حيلة مسرحية إغريقية ،هاجمها أرسطو، هي نزول الإله في آلة ،التي استخدمها ضعاف الكتاب .

وبذا يكون الكاتب قد نسي أبسط قوانين الكتابة وهو قانون الضرورة والاحتمال الذي ألزم جميع كتاب المسرح ، عدا كتاب مسرح العبث ، وقد خرج الكاتب إلى العبثية مرة أخرى لكن دون أن يدري وذلك من خلال الحوار بين عبد الباسط و المتنبي حيث لم يكن ما بينهما حواراً بالمعنى الصحيح وإنما كان كل منهما يتكلم دون تواصل مع الآخر ، لذا وجدنا ما بينهما أشبه بحوار الطرشان ، وهذا هو الحوار في مسرح العبث الذي يتصف أول ما يتصف بعدم التواصل ."23"

الشخصيات : لم يكن للشخصيات وجود حقيقي في هذه المسرحية :كان المتنبي مجرد طيف يلقى أشعاراً و عبد الباسط مجرد ذريعة لاستدعاء المتنبي وطرح أفكار الكاتب عليه ، أما بقية الشخصيات فقد أراد الكاتب من وراء تنويعها الإشارة إلى الوحدة العربية فهم مابين فلسطيني ومصري وسوري ولبناني وسعودي، وتعرضوا لنفس المصير ، فلم تفرق القذائف الإسرائيلية بينهم وكان نصيبهم منها متساوياً .

ولأن هذه المسرحية مسرحية كلامية لم يكن للشخصيات أهمية تذكر فالرسالة متضمنة من خلال الكلام وبالتالي كان لأي شخصية أن تقول هذه الرسالة .

الأحداث: وكما جنت المسرحية على الشخصيات جنت على الأحداث وإن كانت الجناية هنا أكبر ،ولعل القارئ قد لاحظ عند عرض تلخيص المسرحية أن الباحث لم يجد أحداثاً يعرضها لأن المسرحية تكاد تخلو من الأحداث وخاصة على المستوى الثاني الذي تركّز على حوار فقد مقومات الحوار بين المتنبي و عبد الباسط. أما المستوى الأول فكانت أحداثه قليلة وابتعدت عند النهاية عن الدرامية ، فالكاتب يملك طاقة " خطابية وهتافية" لم يعرضها فيما مضى ،لذا نصب في الفصل الرابع منصة

للخطابة أفرغ فيها مالديه من طاقة وجعل المتفرجين يهتفون بما يريد ، ولم يكن هذا الهتاف مفيداً لالفلسطين ولا المسرحية . بقي أن أشير أن الفنان المسرحي سعد أردش قد كتب مقدمة ضافية لهذه المسرحية وقد امتدحها فيها، وبعد أن قرأت المسرحية أعدت قراءة مقدمة الفنان أردش فاكتشفت التالي:

1 ـ أن الفنان سعد أردش يمتدح الفكرة التي تنادي إليها المسرحية وهي تحرير فلسطين ووحدة الأمة العربية أكثر بكثير من امتداح المسرحية .

2ـ أشار أردش إلى هذه المباشرة في المسرحية وإن أعطاها بعضاً من التبرير بقوله" لقد اختار المؤلف لمسرحيته هذا العنوان المباشر الذي لايذهب إلى الرمز أو الإيحاء والتلويح وكأنما يريد بهذه المسرحية أن تكون صرخة في بحور الظلمات التي تكتنف أمتنا العربية اليوم .بل إنه تجاوز المباشرة في العنوان إلى المباشرة في بنية المسرحية ، وكأنما يريد أن يقول لنا في صراحة تامة إن الموقف المتردي لم يعد يحتمل الترميز ولا الإسقاط ولا التلويح ، وإنما يحتاج إلى مواجهة النفس بكل الصراحة في مواجهة الواقع المر.(ص9)

وأغلب الظن أن دواعي المجاملات الاجتماعية هي التي دفعت فناناً يقوم بتدريس تقنيات المسرح لطلاب الدراما، لكتابة مقدمة مسرحية خالية من التقنيات .

وهذه الطريقة التي اختطها الكاتب تعاكس طريق برنارد شو الذي بدأ حياته خطيباً لتوصيل أفكاره إلى الناس ولكنه لم يرضَ عن تأثير هذه الخطب المباشرة في الناس، وعندما اكتشف المسرحية بدأ يضع أفكاره الساسية في قوالب فنية ، وكان تأثير مسرحياته أكثر بكثير من تأثير خطبه الذي تلاشى بسرعة في حديقة هايد بارك . فلقد هرب شو إذاً من المباشرة إلى الفنية والإيحاء وكان هذا سر نجاحه ، بينما يهرب السيد فرج من الإيحاء والفنية والرمز إلى المباشرة والهتاف .

ونظراً لهذا التفرد في الشكل والمضمون لهذه المسرحية ، كان من الصعب المقارنة بينها وبين غيرها من مسرحيات الدراسة.

3ـ حلم المتنبي ..فؤاد دوارة (1987)

جاء على غلاف المسرحية أنها" مسرحية شبه تسجيلية ، تروي بأسلوب درامي أهم الأحداث والصراعات التي عاشها الشاعر العظيم ، معتمدة على دراسة مكثفة لحياته وعصره وشعره " 24"

وهي مقولة صادقة ولكنها غير كاملة ، فكان يجب الإشارة إلى أنها مسرحية طويلة جداً، بلغت أكثر من 240 صفحة ، وهذا ماجعلها مسرحية للقراءة فقط.

تستعرض المسرحية في الفصل الأول حياة المتنبي منذ أن كان في شبابه الغض وبداية موهبته الشعرية ، وتشير إلى أصوله العلوية وغرامه المبكر وبحثه عن حقيقة أصله ، هذا البحث الذي أراده الكاتب بحثاً أوديبياً في البداية ، فلقد ترك المتنبي كل شيء من أجل أن يعرف حقيقته ، كما فعل أوديب تماماً ، ولكن الكاتب عاد وتناسى هذه البداية في غمرة انشغاله بمشاكل المتنبي العديدة . ثم انحياز المتنبي للعرب ضد الأتراك الذين عاثوا في الأرض فساداً ، وأذلّوا العرب المسلمين ، ونرى المتنبي الشاب يترك بيته وجدّته ويخرج مع أحد دعاة القرامطة إلى بغداد حيث تزداد ميوله القرمطية كلما رأى ميزان العدل مختلاً وكذا ميزان العروبة ، وكانت القرمطية بالنسبة له حركة لنشر العدالة الاجتماعية وانصاف الفقراء من الأغنياء، والعرب من الأتراك .

في الفصل الثاني نرى المتنبي في بيت جدته ما إن استقر حتى قرر الرحيل من جديد ، فترك محبوبته فاطمة ، إنه يحلم بتحقيق الثروة وتحقيق كيانه ، والعمل على نشر رسالة العروبة : وهذا يعني أن له همّان : شخصي وقومي .

لقد ساءه حال الدولة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري الذي يصفه بقوله :

المتنبي :" قرن الفتن والثورات والفرق والأفكار الجديدة ، شيعة من سبعين فرقة وفرقة، إسماعيلية وغلاة وفاطميين وزيدية ثم خوارج ومعتزلة ومتصوفة ...ديلم وأتراك ، سامانيون وبويهيون وحمدانيون وإخشيد...نحن في قرن الدعوات والاضطرابات والفتن...عهد الانقسامات إلى دويلات ودويلات الدويلات ..(ص69)

إنه مؤمن بالعدالة القرمطية ولقد أعطاها دوّارة صبغة اشتراكية إلى حد كبير . أثناء سفره يذكر فاطمة ويكتب شعراً في الشوق إليها ثم يمدح بعض الوجهاء وينال بضعة دراهم مقابل هذا المديح ، ويظل كذلك يجوس بين القبائل حتى يصل إلى سيف الدولة الحمداني ، قبل أن يصل إلىالحكم ، ويعرض عليه حلمه في الدولة العربية ، فيجد له صدى لدى هذا الأمير الذي يكاد يحلم بنفس الحلم لكن المعوقات تمنعه من مباشرة تحقيق الحلم ، يحاول المتنبي تحقيق حلمه في الدولة العربية عن طريق آخر بعد أن فشل في إقناع زعماء القبائل بالعقل والمنطق ، رأى إمكانة التحكم في الناس عن طريق العاطفة أي الدين ، لذا ادّعى النبوة ، أي أن ادعاءه النبوة – كما ترى المسرحية– لم يكن سوى وسيلة لغاية عظيمة.

في الفصل الثالث، وبعد مرور فترة من الزمن ، يذهب المتنبي لأخذ جدته والرحيل بها بعد أن أصاب شيئاً غير قليل من المجد والثراء ، ولكن الأخبار تأتيه بوفاتها فيبكيها بكاء حاراً، ويرثيها شعراً، ثم يتوجه إلى سيف الدولة حيث يمدحه ويصل ما انقطع بينهما ، ويتعلق كل منهما بالآخر ، ويجددان العهد على بعث العروبة، ويشهد معه معاركه ضد الروم ويُبلي فيها بلاءً حسناً، مما يزيد في مكانته عند الأمير، ومما يوغر صدور أعدائه والحساد والشعراء المنافسين أمثال أبي فراس وأبي العشائر والرفّاء ، الذين ظلوا يكيدون له عند سيف الدولة ، بل إن أحدهم اتهم المتنبي

بالتغزل في أخت سيف الدولة مما جعل الأمير يتغير في نظرته المتنبي ، ويقرر الشاعر مغادرة حلب بعد أن لم يعد يأمن مكر الأمير نفسه.

في الفصل الرابع ، وفي مصر، يستقدم كافور شاعرنا وهو يضمر الغدر ، وعده بالإمارة وهو يعلم أنه لن يفي بالوعد ، أما المتنبي فهو يمدح كافور وهو يعلم أنه مجرد عبد لايستحق المدح .

وهكذا ظلت العلاقة بينهما حتى أُصيب المتنبي بالحمى ومنعه كافور من السفر حتى استطاع الهرب من مصر متسللاً، وكتب قصائد الهجاء المقذع في كافور، ورفض التوجه إلى سيف الدولة الذي أرسل في طلبه ، وعندما هجم بعض الطغام على بغداد تصدى لهم مع غلمانه وعبيده وهزمهم وهجا رئيسهم ضبّة ، مما جعل خاله فاتك الأسدي يقرر قتل المتنبي ، فظل يترصده حتى أوقع به في طريق القوافل وهو عائد من بلاد فارس ، وقتله فعلاً .

وأول ما يمكن التعقيب به على هذه المسرحية التي رصدت معظم الحوادث التي مرت بالمتنبي ، حتى التافه منها ، أنها كانت تعتمد اعتماداً كاملاً على كتاب طه حسين " مع المتنبي " وكتاب محمود شاكر "المتنبي " حتى رأيت أن من المناسب أن يُكتب على غلافها " حلم المتنبي ـ عن كتابيْ مع المتنبي لطه حسين و المتنبي لمحمود شاكر" ، ولقد اعتمد دوّارة على الآراء الواردة في هذين الكتابين والتأريخ الخاص الذي صاغه الكتابان لحياة المتنبي والذي يختلف أو يتفق مع المصادر الأخرى ، ويجعل من هذا التاريخ أساساً لمسرحيته .وأهم ما في هذين الكتابين أنهما اعتمدا عنصر القص منهجاً لهما ، لذا لم يجد دوّارة صعوبة في تحويل هذا القص إلى حوار، بل إن إشارة سريعة من طه حسين لشخصية الفضل "25" قال فيها إنه يمكن أن يكون من

القرامطة، بنى عليها دوّارة شخصية كاملة وجعلها شخصية "أبو الفضل "من شيوخ القرامطة .

كذلك فإن من الملاحظ أن العنوان " حلم المتنبي " لايتناسب مع المضمون ، فلقد تعرض دوّارة لحلم المتنبي في دولة عربية واحدة وقوية :

المتنبي : أحلم بقيام حركة عربية يتزعمها أمير عربي يعيد للعروبة سابق مجدها ويضم شتات أراضيها المزقة ، ولست أرى مثل بني حمدان العرب العلويين من يُندب لتحقيق هذا حلم (ص101)

وأعاد هذا الحديث ثانية عندما قابل سيف الدولة للمرة الثانية .(ص139)

ولكن هذا الحلم كان جزءاً من مائة جزء من هذه المسرحية الحافلة بعشرات أو مئات الحوادث والقضايا والأفكار ، لذا كان على الكاتب أن يغيّر في العنوان ليناسب المضمون فيكون"مسيرة المتنبي" أو كما قال أشهر مؤرخيه "الصبح المنبي عن حياة المتنبي " . أو أن يقوم بتغيير المضمون ليتناسب مع العنوان فيصبح الحلم بهذه الدولة هو محور المسرحية الذي تدور حوله الحوادث و الشخصيات .

ولقد كان هذا الخلل ، في العنوان وفي البناء،ناتج من عدم وجود رؤية لتوظيف التراث ، فلقد أعادتنا هذه المسرحية إلى البدايات الأولى لتوظيف التراث بطريق تسجيلية ،دون تدخل كثير من الفنيات في هذا التوظيف "26"،ولقد قطع توظيف التراث شوطاً طويلاً من التطور حتى وصل إلى دوّارة الذي عاد به إلى البداية ثانية . ولقد أوقعه تتبعه للشخصية بدلاً من الحدث في مزلق آخر ، فلقد أورد كثيراً من آراء الباحثين في المتنبي ، من ذلك ما أورده على لسان المتنبي في حواره مع جدته :

المتنبي : قال شيوخي إن الشعر قد ملك عليّ كل نفسي فلم أعد صالحاً للجدل العقلي المحتدم ، وأن الطموح للمجد الشخصي أفسد قدرتي على الفناء في العقيدة

والخضوع للنظام والأوامر ، وأضاف ثالثهم إن عصبيتي العربيـة أقوى مـن أن تنحـلّ في عقيدة تتسع لكل العصبيات (ص71)

وهكذا كان القارئ يجد نفسه مع بحث فكـري حـول شـخصية المتنـبي تـارة ، ومع مختصر لديوان المتنـبي تـارة أخـرى ، وفي سـاحة تملؤهـا معـارك المتنـبي الشـعرية ثالثة.

ومن الملاحظ أن الكاتب قد اختصر الحديث حول المتنبي في مصـر ، فـهل كـان هذا الاختصار لأنه لاحظ أن المسرحية قد طالت فمال إلى الاختصار عند النهاية؟؟ أم لأن بعض الباحثين وقف موقف السخط من شعر المتنبي في مصر ورأيـه في المصريـين ؟؟ علـى أية حال فإن هذه المرحلة المفصلية في حياة المتنبي صورها الكاتب بسرعة شديدة في حين كان يقف عند أبسط التفاصيل عند في علاقة الشاعر بسيف الدولة .

ب ـ الشكل :

كتانت هذه المسرحية أطول المسرحيات الخمس التي قـامت بتوظيـف شـخصية المتنبي ، ولقد أسرفت في الطول حتـى تجـاوزت 240 صفحـة ، ممـا يجعـل تقديمـها على خشبة المسرح أمراً صعباً ، ولم يكن الطول المسرف هـو العـائق الوحيـد أمـام تقديـم المسرحية على خشبة المسرح وإنما تقسيمها إلى أربع وعشرين مشـهداً كـان عائقـاً آخـر؛ إن إعداد أربع وعشرين مشهداً مسرحياً بما في ذلك من ديكور وملابس وإضاءة وغير ذلك من مستلزمات يجعل تقديم هذه المسرحية شبه مستحيل .

لكل هذا وغيره قلنا إنها مسرحية للقراءة ، ولقد كان الحكيم أكثر واقعيـة مـع نفسه ومع القارئ عندما وضع مسرحية للقراءة بعنوان "حياة محمد " ، فلقد تعـامل مـع قارئه بوضوح عندما كتب أنه يريد كتابة سيرة الرسول بشكل حـواري لكـي يجـد فيـها القارئ سهولة أكثر .

والحق أن هذه الطريقة تفصل بين المسرحية كعمل أدبي وجانب فني ، حيث تنحصر في العمل الأدبي ، وهذا ماحذر منه كثير من النقاد ، أي التعامل مع الدراما على أنها فن أدبي فقط"27"

الشخصيات : سبق أن أشرنا إلى أن هذه المسرحية تقوم على شخصية المتنبي ولاتقوم على الحدث، وأشرنا إلى مجموعة الصعوبات التي أدى إليها هذا التكنيك ، ومن هذه الصعوبات أن المسرحية بدأت بالمتنبي ذلك الغلام اليافع وتتبعته في 24 مرحلة عمرية في 24 مشهد ، حيث كان يكبر في كل مشهد عاماً أو اثنين ، وتقديم هذا التتبع على المسرح أمر شبه مستحيل ، وتتبع الشخصية من خلال المسرحية يمنع من وجود التوتر الدرامي والتصاعد، لأن المسرحية تعنى بالأحداث التي تعرضت لها الشخصية دون أن يكون هناك رابط بين هذه الأحداث . ولقد ارتكب دوّارة خطأً بديهياً في عالم المسرح ، وهو أن المسرحية، كما نص على ذلك أرسطو، لاتقوم لمجرد أن بطلها شخص واحد،إنما يجب أن ترتبط الأحداث بمنطق السببية والتراكيبية ، وهذا مالم يفعله الكاتب ، فهو قد اكتفى بسرد حياة المتنبي سرداً درامياً ، وربما قام بالتركيز على بعض الجوانب أكثر من البعض الآخر ، ولقد حذر أرسطو ،منذ زمن بعيد،من الانخداع بأهمية الشخصية المسرحية" إن وحدة الخرافة لاتنشأ كما يزعم البعض عن كون موضوعها شخصاً واحداً لأن حياة الشخص الواحد تنطوي على مالاحدّ له من الأحداث التي لاتكون وحدة "28" ، لكن فريقاً من النقاد عارض أرسطو ورأى أن الشخصية هي التي تصنع الحدث والعقدة."29"

هناك عامل آخر زاد في هذه الحوادث وهو أن الكاتب لم يتبع قانون السببية في الحوادث ، فلم يؤدِ كل حدث إلى آخر ، ولم يجعل للحدث الكلي أو التام بداية ووسط ونهاية ، إنما كان يستعرض مجموعة أحداث لايربط بينها سوى أن بطلها واحد

هو المتنبي ، ولو أن المسرحية صِيغت في حكاية لها بداية ووسط ونهاية لصعُب على الكاتب أن يصنع كل هذه الحوادث .

لكن ينبغي الإشارة إلى أن المسرحية نجحت في تقديم المتنبي المعتز بنفسه ، والذي يملأ الفخر برديه ، وكان التصوير من المرات القلائل التي خالف فيها دوّارة كتاب طه حسين "مع المتنبي " حيث تم تصويره في هذا الكتاب على أنه مداح متجول .ولقد اتفق دوّارة مع رأي شاكر في المتنبي ، الذي قدمه بطلاً عربياً وشاعراً عبقرياً ، كانت ظروفه دون همته ، وقصرت إمكانياته عن طموحاته، وكانت أبيات الفخر مثل :

سيعلم القوم ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

إلى آخر هذه الأبيات ، هي مفتاح شخصية المتنبي كما تراه المسرحية .

وهكذا كانت بقية الشخصيات تأخذ أهميتها بقربها أو بعدها من الشخصية الرئيسية ، وليس بحسب تأثيرها في الأحداث .كذلك كانت معظم الشخصيات مستمدة من التاريخ ، ونادراً ما قام الكاتب بابتكار شخصية منها، ولعل الشخصية الوحيدة التي ابتدعها هي شخصية فاطمة ، تلك الفتاة التي أحبها الشاعر في صباه، لكنه ضحى بهذا الحب في سبيل أهدافه العظيمة.

وعلى ذلك فإن أكثر الشخصيات احتلالاً للمساحة على الورق بعد المتنبي كانت شخصية سيف الدولة ، ومما يؤكد الخلل في هذه المسرحية أن هذه الشخصية ذابت تماماً بمجرد خروج المتنبي من حلب. كان هناك العديد من الشخصيات الثانوية ، إضافة لما ذكر مثل العامري والكناني والكتبي وعلي البصري و كافور وفاتك ..إلخ

الأحداث :أشرنا إلى أن المسرحية لم تقم على حدث كامل له بداية ووسط ونهاية ، وإنما كانت مسرحية شخصية ، وتعرضت لعشرات وربما لمئات الحوادث التي

مرت بهذه الشخصية ، وكان معظم هذه الأحداث تاريخي مأخوذ من الكتب التي درست المتنبي وعلى رأسها كتاب طه حسين وكتاب محمود شاكر.

ولقد حاول الكاتب أن يتدخل في الأحداث ، لكن قلة خبرته في الكتابة المسرحية حالت دون ذلك ، إذ أن هذه المسرحية ربما كانت الوحيدة التي كتبها دوّارة ، وكانت محاولته للتدخل على طريقة الأفلام المصرية الميلودرامية "30"، فمنذ اللوحات الأولى نجد المتنبي يصرخ في أمه سائلاً في حرقة ومرارة، فتكشف له هذا السر الخطير:

الجدة : أنا لست أمك ...؟؟ ماتت أمك وهي تلدك ..ومات أبوك وأنت في الثالثة (ص31_32)

ولكن ، وربما لحسن الحظ ، طغى الجانب التراثي من الأحداث على هذا الجانب الميلودرامي الذي أراده الكاتب ، ولقد كان للأثر الساحر لأشعار المتنبي الفضل الأكبر في صرف الكاتب عن الخط الميلودرامي ، ومن ثم افتعل بعض الحوادث لكي تتناسب مع الأشعار ، من ذلك مثلاً الهجوم الذي شنه العامري والكناني على جرذ صغير وعملية قتله ، كان هذا الحادث تمهيداً لإيراد أبيات المتنبي التي مطلعها:

لقد أصبح الجرذ المستجير أسير المنايا صريع العطب (ص11-12)

وكذا اصطنع الكاتب شجاراً بين المتنبي وأحد الغلمان وكان هذا قد طعن في أصل المتنبي ، وفاخر بأبيه القاضي الذهبي ؛فقال المتنبي :

لما نسبت فكنت ابناً لغير أب ثم اختبرت فلم ترجع إلى أدبِ

سميت بالذهبي اليوم تسمية مشتقة من ذهاب العقل لاالذهبِ (ص22)

ولم تكن هذه الحوادث محكومة بقانون الضرورة والاحتمال ، وإنما كانت مجرد ذريعة

لإلقاء الأشعار التي أورد منها أكثر من 260 بيت من الشعر ، وتمثل أكثر من 32 صفحة من المسرحية مما يعني أن تقديم هذه المسرحية يحتاج إلى فئة خاصة من النظارة.

الخاتمة

وبعد ...

فلقد طوفت هذه الدراسة مع المتنبي في خمس مسرحيات ، وإن كان هناك مسرحيات أخرى لم يتمكن الباحث من العثور عليها، قامت بتوظيف شخصية المتنبي هذا إلى جانب توظيف هذه الشخصية الفذة في السينما،وفي الرواية "31"، أما في الشعر فإن استخدام هذه الشخصية يفوق الحصر ويحتاج إلى دراسة مفصلة ، وكان د.علي عشري زايد قد أشار إلى صنوف من هذا التوظيف أو الاستدعاء في الشعر "32".

وقد كان توظيف شخصية المتنبي في المسرح لون من ألوان انشغال الكتاب المعاصرين بالتراث وقد كان هذا الاهتمام أمرا لاستنبات أفضل ما في الحضارة العربية من جهة ، ولمواجهة الخطر الخارجي الذي يتهدد الشخصية العربية من جهة أخرى "33" . ولقد توزع هذا التوظيف مابين مسرحية شعرية ،كما فعل أنس داود في "محاكمة المتنبي " وهي مسرحية كلامية من فصل واحد غلب عليها التأثر "بمأساة الحلاج" لعبد الصبور و"محاكمة رجل مجهول" لعزالدين إسماعيل ولم يكن لها شخصية درامية مستقلة ، أو كما فعل محمد عبد العزيز شنب في مسرحيته" المتنبي فوق حد السيف" وقد كان دور الخيال واضحا في هذه المسرحية ، وقد كتبت المسرحيتان في بحر المتدارك الشعري والذي تفعيلته"فاعلن" مع لجوء المسرحية الثانية إلى كثير من التجاوزات العروضية .

والنوع الثاني من التوظيف كان بالنثر حيث جاءت مسرحية "المتنبي يجد وظيفة" لعبد السميع عبدالله لتتشابه مع مسرحية"المتنبي فوق حد السيف" في كثير من التقنيات وتتناقض معها في الرسالة ، ولولا أن المسرحيتين كتبتا في زمن واحد تقريباً لحكمنا بوقوع الأولى في أسر الثانية .وقد كانت هاتان المسرحيتان أكثر المسرحيات المدروسة حرفية وفنية وتطويعاً للخيال ، كما عرضت المسرحيتان للمثقف في وجه السلطة ، لكن رأت الأولى أن المثقف المؤمن بفكره يتمسك بهذا الفكر مهما كان إرهاب السلطة وقمعها، بينما رأت الثانية أن المثقف سرعان مايتراجع عن أفكاره بمجرد أن يرى سيف أو ذهب السلطة.

ومن هذه المسرحيات المكتوبة نثراً مسرحية "المتنبي والمستقبل العربي" التي عرضت لأخطر قضية في تاريخ العرب القديم والحديث ، قضية تحرير فلسطين ووحدة الأمة العربية ،لكن المسرحية عرضت لهذه القضية بشكل مباشر وخطابي مما أبعدها عن الفن وقربها من الخطب الحماسية التي رأى الكاتب أنها"تزلزل إسرائيل" أما دور المتنبي في هذه المسرحية فكان إلقاء الشعر الذي يحض على القتال والعيش بكرامة وشرف.وأخيراً كانت مسرحية " حلم المتنبي " لفؤاد دوّارة أطول هذه المسرحيات وأكثرها بعداً عن خشبة المسرح ،فهي مسرحية للقراءة ، كما أنها تتبعت حياة المتنبي عبر مراحل عمرية متعددة ، ولم تتبع حدثاً درامياً بعينه ، لذا حفلت المسرحية بالأحداث والأشعار والمعارك الأدبية ؛ فكانت أقرب لسيرة حياة منها إلى مسرحية فنية.

وأخيراً فإن من الواجب لفت أنظار الكتاب المسرحيين إلى أن أهمية المسرحية لاتكمن في قيمة الموضوع الذي يعالجونه ، وإنما في طريقة المعالجة ، أو فيما يعرف بالشكل .أي أن مضموناً عظيماً لايكفي لصنع مسرحية عظيمة ولابد له من شكل عظيم كذلك .

والأمر الآخر الذي يجب لفت أنظار الكتاب المسرحيين إليه هو عـدم الانخـداع بأهمية الشخصية في بناء المسرحية ، إذ لابد من حبكة متقنة تكون الشخصية عنصراً من عناصرها العديدة و المنسجمة معاً .

المصادر والمراجع :

(1)مقدمة مسرحية" المتنبي والمستقبل العربي" الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986

(2)عبد السميع عبدالله " المتنبي يجد وظيفة" ص137 التذييل .

(3)المتنبي والمستقبل العربي ص22 مقدمة المؤلف السيد فرج.

(4) أحمد الحوتي " المتنبي" مجلة المسرح ص21 ، يوليو 1984

(5) هناك مسرحيات بعنوان " المتنبي "للعراقي عادل كاظم،والفلسطيني كمال ناصر،واللبناني منصور الرحباني، لكن الباحث لم يتمكن من العثور عليها.

(6)محاكمة المتنبي ، د.أنس داود ص24 ، مطبعة دار العروبة الكويت ،د.ت.

(7) مأساة الحلاج ،صلاح عبد الصبور ، دار القلم بيروت 1966.

(8)محاكمة رجل مجهول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971

(9)البداية والنهاية لابن كثير ج9 ص96 مكتبة المعارف ،بيروت، 1966

(10) فن الشعر ،أرسطو ص18 ترجمة عبد الرحمن بدوي

(11) المتنبي فوق حد السيف .محمد عبد العزيز شنب .الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1986.

(12) منمنمات تاريخية ، سعد الله ونوس دار الآداب بيروت 1996

(13) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي :الخلافة العباسية ،د.أحمد شلبي ،مكتبة النهضة المصرية، ط5 ،1974

(14) المتنبي : محمود محمد شاكر: ص 267 ،مطبعة المدني ، القاهرة 1977

(15) المتنبي يجد وظيفة ، عبد السميع عبدالله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1983

(16)المتنبي ، محمود شاكر ص283- 286

(17) السلطان الحائر ، توفيق الحكيم ص78 ،134 مكتبة الآداب ،1976

(18)الملك هو الملك ، سعدالله ونوس ،دار ابن رشد ،ط3 ، 1980

(19) المتنبي يبحث عن وظيفة ،مجلة المسرح ص24 ،حسن عطية،سبتمبر 1982

(20) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ، د.إبراهيم حمادة ، مادة "تعبيرية" ،دار الشعب 1971

(21) المتنبي والمستقبل العربي ، السيد فرج،ص50،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986

(22) الحيوان للجاحظ 131/3 ، دار الكتب المصرية .

(23) من فنون الأدب المسرحية،د.عبد القادر القط ص302،دار النهضة العربية 1978

(24) حلم المتنبي ، فؤاد دوّارة ، الهيئة العامة للكتاب ،1987 الغلاف الأخير .

(25) مع المتنبي ، طه حسين ص27، دار المعارف

(26) انظر :توظيف التراث في المسرح المصري الحديث ، فوزي الحاج ، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1983

(27) المسرح الحي ،ألر رايس ص21 ترجمة داود حلمي السيد ،دار نهضة مصر 1965

(28) فن الشعر ،أرسطو ص24 ، ترجمة عبد الرحمن بدوي .

(29)فن كتابة المسرحية ،لايوس إيجري ص189،ترجمة دريني خشبةدارسعادالصباح

(30) الميلودراما نوع من الدراما يعتمد على إثارة العواطف بشكل مبالغ فيه دون الاعتماد على الجانب الفني .انظر:معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية .مادة "ميلودراما" .

(31)انظر: من أوراق أبي الطيب المتنبي ، محمد جبريل ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.

(32) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،د.علي عشري زايد، دار الفكر العربي ،القاهرة 1997

(33) توظيف التراث في المسرحي المصري الحديث ص12